



N° :

الرقم:

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر
(تخصص: تحليل الخطاب)

تلقي الأشراف لشعر حسان بن ثابت -نماذج مختارة من شعره-

مقدمة من قبل:

ميمية بلعقون

تاريخ المناقشة : جوان 2015

د. فريدة بومهرة	رئيسا	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ. نادية موات	مشرفاً ومقرراً	أستاذ مساعد أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ. الطاهر عفيف	ممتحنا	أستاذ مساعد أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

شكر وعرفان

أولاً وقبل كل شيء، الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزينة عرشه ومداد كلماته الذي أعانني على إتمام هذه
المذكرة.

أود أن أعبر عن عميق شكري وامتناني إلى التي أشرفت على هذه الدراسة و ساهمت بملاحظاتها القيّمة في تقييم
هذا البحث إلى أن استقام على هذه الصورة.

إلى التي لم تتوان في مساعدتي وتشجيعي، إلى الأستاذة القديرة "نادية موات" فلها مني أصدق وأسمى عبارات
الاحترام

إلى كل من لم ييخل عليّ ولو بحرف.

إلى كافة أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

إهداء:

إلى أغلى ما عندي إلى التي علمتني كيف أتعلم... وأكسر

جدار الصمت

والوجه...أمي الحبيبة.

إلى من علمني الصبر والمثابرة في الحياة...وبقيت ثماره خير معين لي... أبي الغالي.

إلى من يرنون إليّ بأجمل النظرات وأروع

الابتسامات إخوتي وأخواتي.

إلى الكتاكيت: رامي، رميساء، رنا رزان، أيوب عبد الرحمن، منذر تاج الدين.

إلى أغلى وأعز الصديقات سارة سوايحية، فاطمة بن كاشر، ليلي بوعامين.

إلى كل من تذكرتهم ذاكرتي ولم تذكرهم مذكرتي...

فهرس المحتويات

أ-ج	مقدمة
	الفصل الأول: نظرية التلقي، المفهوم والنشأة والتطور.
01	1/ تعريف التلقي
01	أ- التلقي لغة
03	ب- التلقي اصطلاحاً
04	2/ نظرية التلقي: Réception théorie
06	3/ إرهابات النظرية
07	أ- المدرسة الشكلائية
07	ب- مدرسة براغ البنيوية
08	ج- ظواهرية رومان انجاردن
09	د- هيرمينو طيقا جادا مر
10	هـ- سوسيولوجيا الأدب
11	4/ رواد النظرية
11	أ- هانز روبرت يابوس
12	ب- ولف غانغ ايزر
13	5/ مصطلحات النظرية
13	أ- أفق التوقع
15	ب- المسافة الجمالية
15	ج- الفجوات
17	د- المفاجأة
18	6/ أنواع القراء
19	أ- القارئ الضمني
19	ب/ القارئ النموذجي
20	ج- القارئ الحقيقي
20	د- القارئ الافتراضي
21	هـ- القارئ المثالي

21	7/بؤادر التلقي عند العرب القدماء
23	8/مفهوم الشعر الإسلامي
23	9/ موقف الإسلام من الشعر
24	10/خصائص الشعر الإسلامي
الفصل الثاني: ردود فعل الأشراف اتجاه شعر حسان بن ثابت	
28	I-ردود فعل الأشراف الذين استحسّوا شعر حسان بن ثابت:
28	1-ردود الفعل الحسيّة
28	أ-ردود فعل الرسول صلى الله عليه و سلم
31	- الرضا والهبة
31	- الضحك
32	ب- رد فعل الحارث بن عوف
32	- البكاء
33	ج- ردود فعل جبلة بن الأيهم
33	- البكاء
33	- الهدية
35	د- رد فعل عمرو بن الحرث
35	- الهدية
36	2- ردود الفعل المعنوية
36	أ- ردود فعل الرسول صلى الله عليه و سلم
36	- الشّهادة
37	- التّصديق
38	- الوعد بالجنّة
39	ب- ردود فعل عائشة رضي الله عنها
39	- التّصديق
40	- الدّفاع
41	ج-رد فعل أبي نواس
41	- الاحتجاج
42	*اعتراف ذوي الصنعة و الاختصاص:

42	1- النَّابِعة الذبياني
43	2- أبو غزيّة
43	3- الحطيئة
44	4- الأصمعي
44	5- ابن سلام الجمحي
45	6- عبد الكريم التّهشلي
46	*استحسان الأعداء لشعر حسان بن ثابت :
46	أ- بني تميم(مفاخرة بين الزبرقان وحسان)
48	ب- الزبير بن العوام
50	ج- قول القائل يوم فتح مكّة
50	د- أفخر بيت و أحكمه
51	II-ردود فعل الأشراف الذين نقدوا شعر حسان بن ثابت:
51	1- التّقد المعنوي
54	2- مبدأ احترام العرف و الامتثال للمعايير السائدة
55	3- مبدأ اللياقة
56	4- معيار الجانب الصوتي
57	5- معيار التّكرار
58	6- معيار الجانب الأخلاقي
61	7- مبدأ التّضاد
61	8- معيار الجانب اللفظي
الفصل الثالث: شعر حسان بن ثابت ما بين الأخلاقية و الجمالية	
63	1- التّزعة الأخلاقية:
64	أ- معيار الصدق
65	ب- نشر الرّسالة
66	ج- الدّعوة إلى مكارم الأخلاق
66	د- معيار البساطة
67	2- التّزعة الجماليّة:
68	أ- معيار الوزن

69	أ ¹ - مراعاة القافية
70	ب- المعيار البلاغي
71	ج- معيار المبالغة
73	د- المعيار التّحوي
74	هـ- معيار التصوير
76	خاتمة
78	قائمة المصادر والمراجع

لا أحد يستطيع أن ينكر أن منزلة الشعر عند العرب تفوق كل منزلة، فقد كانت القبائل العربية تحتفل بولادة شاعر، وتقيم له الولائم والأفراح، فالشعر مبدأ حضارتهم، وأساس تكوينهم، وديوان فلسفتهم، وتاريخ مجدهم، به عرفوا و له أخلصوا، وبذلك فقد اكتسب الشعر القديم أهمية كبيرة على مرّ العصور، إذ درسه النقاد في ضوء النظريات النقدية الحديثة التي ظهرت في القرون المتأخرة، ومن هذه النظريات نظرية التلقي، التي تعد من أكثر النظريات فاعلية وإنتاجا، حيث منحت القارئ فرصة ثينة لإثبات قدراته، بعد أن فتحت الباب واسعا للنقاد لتجريب قدراتهم في تحليل الشعر وقراءته بعمق، ومنه فقد حاول الدارسون دراسة الشعر العربي القديم وفق آلياتها، نظرا لما فيه من دلالات وقيم جمالية، ويعد شعر العصر الإسلامي أهم المراحل الزمنية للشعر العربي القديم، وعند التطرق لهذه الفترة تحضر في الذهن أسماء شعراء معينين كعبد الله بن رواحة، كعب بن مالك و حسان بن ثابت، هذا الأخير الذي استأثرت تجربته الشعرية باهتمام النقاد قديما وحديثا، حتى دفع إبداعه غيره للدراسة والتأويل ما جعلنا نختاره موضوعا لمذكرتنا الموسومة بـ: " تلقي الأشراف لشعر حسان بن ثابت - نماذج مختارة من شعره -"، أما عن النماذج موضوع الدراسة فقد التزمنا فيها بالنصوص النقدية التي تصدّت لشعره بالنقد والتحليل، على أننا لا ندعي الإحاطة بها جميعا وإثما عمدنا إلى ما تيسر منها.

وقد تبادرت للذهن -عند طرق الموضوع -عدة إشكالات منها: ما المقصود بالتلقي؟ وما هي أحواله في النقد العربي القديم؟ وماهي ردود فعل الأشراف اتجاه شعر حسان بن ثابت؟ ووفق أي المعايير تم تلقي شعره؟، للإجابة على هذه الأسئلة توّسّلنا ببعض إجراءات نظرية التلقي كما خلصت

لدى أقطابها وبخاصة "ياوس" و"ايزر" ، ولا نعدم ارتكازنا على أسس التحليل والاستنتاج ما أمكن ذلك.

لم يكن اختياري لهذا الموضوع عشوائيا، إنما جاء نتيجة لدوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فالذاتية تتمثل في:

- شغفي بالتراث والرغبة في العودة إليه في ظل ما تيسر من المناهج الحديثة.
- تعلقي بشعر حسن بن ثابت كيف لا وهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- حب اطلاعي على قصائده ودواوينه والتبصر فيها للكشف على ما تزخر به من قيم أخلاقية وجمالية.

أما عن الدوافع الموضوعية تتمثل في:

- هذا الموضوع من اقتراح الأستاذة المشرفة .

-ديوان حسان بن ثابت يغري بالدراسة لما فيه من جمالية تجذب القارئ وتدفعه إلى البحث والتطلع .

- الدراسات النقدية في جامعة قلمة تفتقر إلى مثل هذه الدراسة.

وقد توزع بحثي على ثلاثة فصول، فصل نظري موسوم بـ: " نظرية التلقي، المفهوم والنشأة والتطور"، تناولت فيه: تعريف التلقي لغة واصطلاحا، نظرية التلقي، إرهاصاتها، روادها ومصطلحاتها، ثم عرجت على بؤادر التلقي عند العرب القدماء، مفهوم الشعر الإسلامي، موقف الإسلام من الشعر و خصائص الشعر الإسلامي، هذا فيما يخص الجانب النظري، أما الجانب التطبيقي فقد خصصت له الفصل الثاني والثالث، أما الفصل الثاني فقد عنوانته بـ: "ردود فعل الأشراف اتجاه شعر

حسان بن ثابت" ،وفيه تناولت ردود فعل الأشراف الذين استحسّوا شعر حسان بن ثابت و الذين نقدوه وفقا لمعايير نقدية معينة سنتعرف عليها في هذا الجانب، أما الفصل الثالث والأخير فقد عنونته بـ : "شعر حسان بن ثابت بين الأخلاقية والجمالية" وفيه ذكرت أهم النصوص النقدية التي أبرزت الجانب الأخلاقي في شعر حسان بن ثابت هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكرت أهم النصوص النقدية التي أبرزت الجانب الفني الجمالي في شعره، أما الخاتمة فقد كانت محاولة تركيب واستنتاج لأهم ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة.

وقد اعتمدت على مجموعة متنوعة من المصادر و المراجع ، فمن المصادر أذكر: "ديوان حسان بن ثابت الأنصاري"، "الأغاني" للأصفهاني، بالإضافة إلى مراجع أذكر منها: "تلقي شعر التراث في النقد العربي -من بشار إلى المتنبي أنموذجا-" لزياد محمود مقدادي، "تاريخ تلقي الشعر العربي القديم- نماذج من تلقي شعر أبي نواس-" لمحمد مساعدي .

كأي بحث واجهتني صعوبات وعراقيل تمثلت في قلة المصادر والمراجع التي تخدم هذا البحث وندرة الدراسات التطبيقية التي تبنت مثل هذا الموضوع، ولكن بتوفيق الله عزّ وجل خضت غمار هذه الرحلة محاولة أن ألم بجوانب الموضوع قدر المستطاع.

في الأخير أتوجه بفائق التقدير والاحترام إلى الأستاذة المشرفة "نادية موات" على نصحتها و إرشادها، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث المتواضع، ومن الله العون والسداد.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الكرام .

1/ تعريف التلقي:

قبل التطرق لمفهوم نظرية التلقي لابد أن نتناول مصطلح التلقي في اللغة و الاصطلاح.

أ- التلقي لغة:

لكي نقف على المعنى اللغوي ينبغي أن نعرض مادة (ل. ق. ي) على أهم معاجم اللغة العربية.

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: "تَلَقَّى الرَّكْبَانُ : هو أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد و يخبره بكساد ما معه كذبا ليشتري منه سلعته بالوكس.

و التلقي هو الاستقبال، و منه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ﴾، و قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ فمعناه أنه أخذها منه، وقيل: فتلقى آدم من ربه كلمات، أي تعلمها و دعا بها¹.

واللّافِت للنّظر أنّ مصطلح التّلقي في معجم لسان العرب لابن منظور يحمل معنى الاستقبال،

الأخذ، التّعلم، الدّعوة، و كلّها معان يمكن أن تحمل معنى المشاركة و المفاعلة.

أما في معجم الوسيط فيعرض للمادة عينها بقوله:

"لَقِيَهُ: لِقَاءً، و لُقِيًا، و لُقِيَانًا و لَقِيَةً: استقبله وصادفه .

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، مج8، ص 118.

(التقىا) :استقبل كلّ منها صاحبه: يقال التقى الجمعان و التقى الجيشان و التقى الرجلان و الشئان:
اجتمعا و تحاذيا و في التّزِيل العزيز: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾ و يقال : التقى
الشّيء: لَقِيَهُ¹.

وهذا يعني أنّ التّلقّي في معجم الوسيط يحمل معاني: الاستقبال و المصادفة و الاجتماع و اللّقاء.

و في معجم الرائد جاء:

" تلاقى تلاقيا. (ل ق ي) القوم: لقي بعضهم بعضهم الآخر، و"يوم التّلاقي" يوم القيامة"².

وجاء في معجم الأسيل:

" لاقى (مُلَاقَاةً وَلِقَاءً) صادف الشّخص و قابله"³.

و في المرام ورد :

" تلقّى (تلقّيا) استقبل، استلم، أخذ"⁴.

مما تقدم يتبين لنا أنّ التّلقّي في مفهومه اللّغوي لا يكاد يخرج عن المعاني الآتية: الاستقبال،
التّعلم، الدّعوة، الأخذ، الصّدفة، الاجتماع، المقابلة، الاستلام.

¹ - إبراهيم مصطفى، الوسيط، دار الدعوة، استانبول_ تركيا، ج 1، ص 836.

² - جبران مسعود، الرائد (معجم ألفبائي في اللغة و الأعلام)، دار العلم للملايين، ط3، 2005، ص 271.

³ - حميد بود شيش، معجم الأسيل، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 1997، ص 612.

⁴ - رشاد الدين، المرام في المعاني و الكلام (القاموس الكامل عربي/عربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2000، ص 234.

"فالمادة اللغوية بمشتقاتها في العربية، و تصريفاتها في الإنجليزية تنظم معنى الاستقبال والتلقي معا، فيقال في العربية: تلقاه أي استقبله، والتلقي هو الاستقبال _ كما حكاه الأزهرى- وفلان يتلقى فلان أي يستقبله (...). فالكثير الغالب في الاستعمالات العربية هو استخدام مادة التلقي بمشتقاتها مضافة إلى النص سواء كان النص خبرا أو حديثا أو شعرا، وقد عوّل القرآن الكريم على هذه المادة في أنساقه التعبيرية و لم يستخدم مادة " الاستقبال " في هذا المجال مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ و منه قوله تعالى : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى آدَمُ كَلِمَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ و قوله تعالى : ﴿...إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ و قوله تعالى : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ...﴾¹.

ب- التّلقی اصطلاحاً:

¹- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة-، دار الفكر العربي، ط1، 1996، ص 13.

مماثلة قاعدة مشتركة بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع، المتلقي) و التي يعرفها المتلقي بتحليلها مستخدما الأدوات الموجودة لديه، و التي تمكنه من فهمه و حل شفرته".¹

فالمقصود بالتلقي من خلال القول السابق هو العملية المقابلة لإبداع النص و إنشائه أو كتابته، حيث يرتبط التلقي بالقارئ، هذا الأخير الذي يساهم في صنع المعنى، بحيث يعمل على توليد و تأويل المعنى مثلما فعل الكاتب في البناء و التكوين، مما يدل على أن العلاقة بين النص و القارئ هي علاقة تفاعل و إنتاجية، فالقارئ من خلال رصيده اللغوي و الثقافي يقوم بفك شفرات النص و تأويل دلالاته.

2/ نظرية التلقي: Réception théorie

تعد نظرية التلقي من أبرز النظريات النقدية الحديثة ظهرت " في النصف الثاني من القرن العشرين، وعدت من أكثر نظريات الأدب أهمية، و أشدها صلة بمقياس الجودة الأدبية، ففي ستينيات القرن العشرين ارتبطت بالنقد الألماني بشكل خاص، و شكّلت المدرسة الألمانية المرجع الأساسي للتلقي، و كثيرا ما يشار إلى أن مدرسة كونستانس مدرسة جمالية التلقي، لأنها اهتمت بفعل التلقي الأدبي، و ما يلعبه المتلقي من أثر في عملية القراءة لتشكيل المعنى.

وتتعلق نظرية التلقي بما يحدثه العمل في متلقٍ ما من أثر، فاهتمامها يتّجه إلى القارئ، و هنا يقول هولب: " إنَّ نظرية التلقي تشير على الإجمال إلى تحوّل عام من الاهتمام بالمؤلف و العمل الأدبي إلى النص و القارئ، و من ثمّ فإنّها تستخدم بوصفها مصطلحا شاملا " ¹.

¹ - فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار الشروق، عمان ، ط1 ، 2006، ص 161.

يتضح لنا من خلال القول السابق أنّ نظرية التلقي جاءت لترد الاعتبار للقارئ و دوره في إنتاج العمل الأدبي.

وهنا يقول ميخائيل ريفاتير: " ليست الظاهرة الأدبية هي النص فقط، و لكنها القارئ أيضا، بالإضافة إلى مجموع ردود أفعاله الممكنة على النص و على القول و على إنتاجية القول ".²

وهذا يعني أنّ العمل الأدبي ليس نتاج المؤلف فقط، و إنّما المتلقي أيضا، و ذلك من خلال مشاركته الفعالة في خلق المعنى و تأويل دلالات النص .

وفي هذا الشأن يرى الناقد الفرنسي " تدور وف " أنّ " النص رحلة خلوية يجلب فيها الكاتب الكلمات، بينما يجلب القراء المعنى "³.

وهذا يحيل إلى أنّ النص الأدبي نتاج مشترك بين المؤلف و القارئ، فإذا كان الكاتب ينتج النص فإنّ المتلقي ينتج معناه و دلالاته، فالنص بدون متلقيه نص ناقص، فالقارئ هو الذي يعطي للنص معناه الكامل، و هذا لا يتأتى إلاّ من خلال التفاعل العميق بين القارئ و النص.

وفي هذا الصدد يرى الناقد عصام خلف كامل في كتابه المعنون بـ " الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر " أنّ "قراءة النص القصد منها ، التوقف لدى النص من داخله و تحليله من جنس أدواته،

¹ - زياد محمود مقدادي، تلقي شعر التراث في النقد العربي الحديث -من بشار إلى المتنبي أنموذجا -، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط1، 2012، ص 21-22.

² - وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث -رؤية إسلامية-، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص 214.

³ - ذياب شاهين، التلقي و النص الشعري -قراءة نصوص شعرية معاصرة من العراق والأردن و فلسطين و الإمارات-، دار الكندي للنشر و التوزيع، ط1، 2004، ص 30.

و الجمالية الممكنة " ¹ .

" فإذا كانت النبوية قد أنشأت " علم النص " فإن نظرية التلقي تنشئ " علم القراءة و التلقي " ² .

"و يميّز الدارسون في نظرية التّلقّي التي ارتبطت بالفكر الألماني، ومنه انطلقت إلى الآداب الأخرى بين اتّجاهين كبيرين هما: اتّجاه جماعة برلين و اتّجاه مدرسة كونستانس، وهذه الثّانية هي المرجع الأساسيّ في نظرية التّلقّي.

3/ إرهابات النظرية:

1- عصام خلف كامل، الاتجاه السيمبولوجي و نقد الشعر، دار فرحة للنشر و التوزيع، د. ط. د. ت، ص 45.

3 - م.ن، ص.ن.

إنّ نظرية التلقي شأنها شأن غيرها من النظريات الأدبية الأخرى قائمة على أصول وجذور سابقة عليها "فليس جديد أن يقال أنّ نظرية التلقي نشأت من حوار عميق من المناهج التي هيمنت بعد الحرب العالمية الثانية كالشكلانية و البنيوية و السيميوطيقا و نظرية التواصل و المقاربات الماركسية، و التحليل النفسي للأدب (...) و معلوم أنّ الشكلانية و البنيوية و السيميوطيقا ركزت على آليات اشتغال النص وتوالد معناه بصرف النظر عن إحالاته ودلالاته"¹.

بمعنى أنّ نظرية التلقي لم تنشأ من فراغ، وإنّما لها جذور متوغلة في القدم، وأنّ المناهج و الدراسات القديمة التي سبقت نظرية التلقي انصبّ اهتمامها على النص و مؤلفه بغض النظر عن قارئه و متلقيه، و من هنا جاءت نظرية التلقي لتعيد الاعتبار للقارئ الذي ظل مهمّشا طيلة قرون، و قد حدّد روبرت هولب العوامل المؤثرة في تكوين نظرية التلقي في خمسة أصول هي: الشكلانية الروسية، بنيوية براغ، ظاهريّة رومان انجاردن، هيرمينوطيقا جادا مر، و سوسيلوجيا الأدب.

أ - المدرسة الشكلانية:

"كان للشكلايين الروس بما قاموا به توسيع الشكل الذي يندرج فيه الجمال و الجذب أن أسهموا في خلق طريقة جديدة للتغير ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية التلقي، و كان لاهتمامهم أيضا بالأداة الفنية و ما

¹ - نظرية التلقي- إشكالات و تطبيقات - ، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة منشورات و مناظرات رقم 24، المملكة المغربية، الرباط، دط، دت، ص 07.

تحدثه من تغريب للتصورات في العمل الأدبي، و بما يشير هذا التغريب إلى علاقة القارئ بالنص، فكان له دور فعال في النظرية¹.

وهذا يعني أنّ الشكلايين الروس مهدوا الطريق واسعا أمام رواد نظرية التلقي، و ذلك من خلال مصطلح التغريب و ما يحدثه من استفزاز لدى القارئ أو المتلقي.

ب -مدرسة براغ البنيوية:

"لم يفصل البنيويون و خاصة موركاروفسكي العمل الأدبي بما هو بنية عن النسق التاريخي، و يرى أنّه لابد من فهم العمل على أنّه رسالة إلى جانب كونه موضوعا جماليا، و بهذا فهو يتوجّه إلى متلقّ هو نتاج للعلاقات الاجتماعية المتغيرة، و بهذا يفهم المتلقي لا المنشئ المقصد الفني الكامن في العمل الأدبي².

بمعنى أنّ رواد مدرسة براغ أشاروا إلى دور القارئ في إنتاج العمل الأدبي.

ج- ظواهرية رومان انجاردن

"من النقاد المحدثين من يرى أنّ الاتجاه الفلسفي الحديث الذي يركز على الدور المركزي للقارئ في تحديد المعنى هو الفينومينولوجيا (أو علم الظواهر) ، و قد عرض انجاردن لمشكلات الأعمـال الأدبية من خلال اهتماماته الفلسفية الواقعية في

¹ - هولب روبرت، نظرية التلقي -مقدمة نقدية-، تر:عزا لدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية ،د.ب، ط1، 2000، ص 73.

² - هولب روبرت، نظرية التلقي -مقدمة نقدية- ، ص 98.

باب _____ التنظير، وله

كتاب _____ ان مهمّان يسهم _____ ان في تطور

نظرية التلقي فيم _____ بعد و هما literary work of art

(the) و ص _____ در سنة 1941 م و الآخر cognition of the literary

(of art) ، وقد ارتبطت دراسته للنظرية الأدبية ببحثه في إشكالية المثالية الواقعية، حيث يقع العمل

الفني الأدبي عند خارج هذه القيمة الثنائية (...) ولقد كان لانجاردن بعض المفاهيم مثل: بنية المبهمة أو

عدم التحديد، بالإضافة إلى اهتمامه بالعلاقة بين النص و القارئ، مما كان له تأثير على مدرسة

كونستانس الألمانية، ولقد كانت البوتقة _____ التي انصهرت

فيها نظرية التلقي (...)، وقد فرّق انجاردن تفريقاً حاسماً بين الفئتين الثابتة للعمل و ما يقوم به القارئ في

تحقيقه لهذه الفنية، فالصورة التجسيدية لعمل ما تختلف من قارئ إلى آخر، بل من قراءة إلى أخرى (...).

وقد استطاع الناقد الأوربي (ايزر) بعد ثلاثين عاماً أن يطور أفكار انجاردن بهدف الوصول إلى طريقة

صالحة للنقد تعتمد على نظرية من نظريات القراءة¹.

وهذا يعني أنّ انجاردن ركّز في دراسته على العلاقة القائمة بين النص و القارئ، و أكد على دور

المتلقي في تحديد المعنى، وهذا ما جاءت به نظرية التلقي.

د- هيرمينو طيقا جادا مر:

¹ - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، د.ط، 1999، ص 79-83.

"كان هانز جورج جادا مر (Hans Georg Gaudemer) أحد تلاميذ هيدجر الذين تأثروا بفكره، فقام بتطبيق مدخل هيدجر على النظرية الأدبية و ذلك في كتابه " الحقيقة و المنهج " (1975) حيث ذهب إلى أن العمل الأدبي لا يخرج إلى العالم بوصفه حزمة منجزة مكتملة التصنيف للمعنى، فالمعنى يعتمد على الموقف التاريخي لمن يقوم بتفسير هذا العمل، و لقد أثرت أفكار جادا مر على نظرية الاستقبال خصوصا عند ياكوس في اعتماده على نظرية التأويل (herméneutique)، فيما ذهب إليه جادا مر من أن كل تفسير للأدب الماضي ينبع من حوار بين الماضي و الحاضر (...)، و بناء على ذلك فإن نظرية التأويل تنظر إلى الفهم من حيث هو انصهار للماضي و الحاضر معا، بحيث لا يمكن أن نتحرك إلى الماضي دون أن نأخذ في الحاضر اعتبارنا، و بذلك يكون كل من هيدجر خصوصا في كتابه " الوجود و الزمن " (1927) وجادا مر متأثرا بأفكار هيدجر في كتابه " الحقيقة و المنهج " قد أعاد الاهتمام بالفهم الكلي الجامع للوجود و للنص و أثار التساؤلات حول النموذج المعرفي الذي كان يشكك في كل إمكانات التعرف التي تقع خارج نطاقه، و هذا ما يؤكد نزوع نظريات التلقي لتلاقي ما وقعت فيه البنيوية من اعتمادها على العلمية البحتة، و ما أدت إليه من المحايذة النصية و التجاهل المعتمد للعلاقات التاريخية و الاجتماعية الخارجية عند حدود النص"¹.

وهذا يحيل إلى أن جادا مر سبق ياكوس في الإشارة إلى مصطلح التاريخ و علاقته بالعمل الأدبي، إضافة إلى المتلقي و علاقته بالنص الأدبي.

هـ - سوسيولوجيا الأدب:

¹ - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص 84-85.

لا نستطيع أن نتجاهل أن العناية الحقيقية بالقارئ قد برزت واعية بمقاصدها في نطاق علم اجتماع يُعنى بالظواهر الأدبية، "لقد ذهبت الدراسات في علم اجتماع الأدب حول نشأة الآثار الأدبية إلى أن المجتمع لا يتدخل في الإنشاء الأدبي من حيث هو مصدر لها فحسب، وإنما يتدخل فيها أيضا من حيث هو متقبل يتلقاها، و من هنا كان لعلم اجتماع الأدب وقوفه على ما للإنشاء الأدبي من بُعد اجتماعي (...). و في ضوء هذا يذهب ربير سكاربيت (r.escarpit) و هو أحد المؤسسين لعلم اجتماع الأدب إلى أن الكاتب إنما يكتب لقارئ أو لجمهور من القراء، فهو عندما ما يصنع أثره الأدبي يدخل به في حوار مع قارئه، وللكتاب من هذا الحوار نوايا يريد إدراكها، فهو يرمي إلى الإقناع و إلى المد بالأخبار أو بالإشارة أو التشكيك أو زرع الأمل أو اليأس، ما يراهن على أن الكاتب يرمي بالإنشاء الأدبي إلى ربط الصلة بالقارئ، أي أنه يعتمد إلى نشر أعماله، و من المعروف بطبيعة الحال أن النشر يعد خروجاً بالعمل الأدبي إلى قرائه، ومن هنا رأى سكاربيت أن حياة الأعمال الأدبية تبدأ من اللحظة التي تنشر فيها، إذ هي في ذلك الحين تقطع صلتها بكتبتها لتبدأ رحلتها مع القراء"¹.

وهذا يعني أن المؤلف و عمله الأدبي لم يعدا يحتلان الصدارة، بل انصرف الاهتمام إلى المتلقّي والظروف الاجتماعية التي تمّ فيها التلقي.

4/ رواد النظرية:

من المتعارف عليه أن نظرية التلقي وليدة الفكر الألماني و ذلك بفضل مجموعة من الرواد والمنظرين، الذين قدّموا إسهامات فذة في هذا الصدد.

¹ - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص 90-91.

"و يعد هانز روبرت ياكوس و فولفغانغ ايزر الألمانين، و ستانلي فيش الأمريكي من أهم مؤسسي نظرية القراءة، و هم الذين بثوا آراءها، ثم أخذت تتسع رقعتها و يزداد المؤيدون لها، حتى استوت منهجا نقديا له إستراتيجيته، كما عمل في هذه النظرية علماء ونقاد كثيرون من غير مدرسة كونستانس أمثال هولب في كتابه " نظرية التلقي " 1989 م ووليام راي، وجوناثان كولر، و اليزابيث فروند¹ .

و سنحاول أن نقدم لمحة وجيزة عن كل من ياكوس و ايزر على اعتبار أنهما من أبرز رواد نظرية التلقي.

أ- هانز روبرت ياكوس:

كان عضوا بارزا في مدرسة كونستانس للدراسات الأدبية، " اشتغل إلى حد بعيد بالعلاقة بين الأدب والتاريخ، له بحث بعنوان: (literary history as- archallenge to literary theory) أو تاريخ الأدب بوصفه تحديا لدراسة الأدب، وقد دعمه يبحث آخر تحت عنوان: (history of art and pragmatic history) أو "تاريخ الفن و التاريخ النفعي"، و له محاضرة بعنوان: "تاريخ الأدب بوصفه حافزا لدراسة الأدب"، وفي هذه المحاضرة يحاول ياكوس النظر إلى قضية التاريخ الأدبي في إطار منهجيتين متعارضتين هما الماركسية ممثلة للتاريخ والشكلانية ممثلة لعلم الجمال²، و يرى محمود عباس عبد الواحد أن ياكوس "اهتم في كتابات كثيرة له بالقارئ بوصفه

¹ - وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية-، ص 15.
² - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي، ص 103.

العنصر المهمل في الثالث الشهير، كما تفرّد في فهمه لتاريخية الأدب من منظور التلقي، كما اهتم بالعلاقة بين الأدب و التاريخ¹.

ب-ولف غانغ ایزر:

² "(the fictive and the imaginary)

2 - فولغانغ ايزر، فعل القراءة- نظرية جمالية التجاوب في الأدب-،تر:حميد لحمداني، ا لجلالي، منشورات مكتبة المناهل،فاس، د. ط، دت، ص 09.

"لم تلق أفكاره حظاً من الذبوع و الانتشار إلا بعد ظهور كتابه " سلوكيات القراءة "، و قد اعتمد ايزر في رؤيته على جانب التفسير، و قد اهتم منذ البداية بإجراءات القراءة و أهمية الدور الذي يضطلع به القارئ في تفاعله مع النص، و العمل الأدبي عنده ليس نصاً فحسب و لا قارئاً فقط، بل تركيب و التحام بين الاثنين"¹.

وهذا يعني أن إيزر حصر عملية التلقي في مدى تفاعل المتلقي مع النص، على اعتبار أن الإنتاج الأدبي هو الأثر الذي يحدث نتيجة تفاعل القارئ مع ما يقرأه، كما نفهم أيضاً أن كل من يابوس و ايزر عمل على نقل الاهتمام من ثنائية الكاتب / النص إلى جدلية النص / القارئ، و بذلك كانت القراءة فعل تباور و جدل بين النص و متلقيه، أو بين النص و عملية التلقي التي يحركها و تحركه.

5/ مصطلحات النظرية:

هناك العديد من الصفات و المسميات ولدت في حضن نظريات القراءة و التلقي، و التي تتصل بدور القارئ و موقفه مما يقرأ مثل أفق التوقع أو الانتظار، المسافة الجمالية، الفجوات، المفاجأة... الخ.

أ- أفق التوقع:

هو مصطلح أطلقه يابوس أحد أقطاب نظرية التلقي، و يشكل أساس تصور الظاهرة الأدبية، "وقد أخذ يابوس مفهوم " الأفق " من غادامير (gadamier) مركباً معه كلمة "الانتظار" وقد أخذها من مفهوم " خيبة الانتظار " عند كارل بوبر (Karl- Popper)، وقد وجد يابوس أن هذين المفهومين المعمول بهما في فلسفة التاريخ يحققان أمله في البرهنة على أهمية التلقي في فهم الأدب و التاريخ، و يعني مفهوم "الأفق" عند غادامير أنه لا يمكن فهم أية حقيقة دون أن تأخذ بعين الاعتبار

¹ - محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي- دراسة مقارنة، ص 34.

العواقب التي ترتبت عليها، لأنّ تاريخ التأثيرات و التفسيرات الخاصة بحدث أو عمل ما هي التي تمكّنتنا بعد أن اكتمل هذا العمل و أصبح ماضيا من فهمه كواقعة ذات طبيعة تعددية للمعاني، و بصورة مغايرة لتلك التي فهمها معاصروه بها¹.

وهذا يعني أنّ ياوس تأثر بغادامير من خلال فهمه للعمل الأدبي كظاهرة تاريخية، على اعتبار أن هذا الفهم يعد شرطا أساسيا في أية ممارسة تأويلية.

وقد ظهر مصطلح الأفق عند ياوس ضمن جملة من الألفاظ و العبارات المركبة، "فياوس يشير إلى "أفق التجربة" و "أفق تجربة الحياة" و "بنية الأفق" و "التغير في الأفق" و "الأفق المادي للمعطيات"، و يبدو أنّ استخدام ياوس المبكر لهذا المفهوم كان محمدا في أفق الانتظار بوصفه مجموعة المعايير و الخبرات والأعراف الأدبية و الجمالية و قواعد النوع الأدبي التي يتمثلها القارئ في تناوله للنص و قراءته، فإذا كان كل نص ينتمي إلى نوع أدبي فإنه بالضرورة يفترض أفق انتظار، بمعنى مجموعة القواعد السابقة الوجود لتوجيه فهم القارئ (الجمهور)"².

"وعلى العموم فإن أفق التوقع مفهوم استخدمه ياوس للكشف عن محتويات وعي القراء، يطابق ما أسماه كادامر "أفق الأسئلة"، ويتشكل من مجموع السلوكات والأفكار المدركة بشكل قبلي، والتي يواجهها عمل أدبي معين أثناء ظهوره"³.

بمعنى أنّ لكل قارئ معيار خاص يستقبل به النص، كما يعني تهيؤه المسبق لاستقبال النص و تذوقه له، و أنّ هذا المعيار يختلف من متلقي لآخر بحسب مرجعياته الثقافية و العقائدية و الجنسية، فكل

1 - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي، ص 109.

2 - نادر كاظم، المقامات و التلقي - بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث-، وزارة الإعلام الثقافي و التراث الوطني، مملكة البحرين، ط1، 2003، ص33-34.

3 - محمد مساعدي، تاريخ تلقي الشعر العربي القديم- نماذج من تلقي شعر أبي نواس-، فاس، ط1، 2005، ص62.

هذه العوامل تتحكم في استجابته للنص و تفاعله معه سواء بقبوله أو رفضه، و"أفق التوقع" قائم على مدى تصور القارئ للحياة و خبرته وفهمه للعالم، و كل هذا يخلق نوع من الجمالية بين النص و القارئ، و بهذا يعد "أفق الانتظار" معيارا لقياس جمالية العمل الأدبي.

ب-المسافة الجمالية:

"هي الفرق بين كتابة المؤلف وأفق توقع القارئ، بمعنى أنها المسافة الفاصلة بين التوقع الموجود لدى القارئ و العمل الجديد، ويمكن الحصول عليها من استقراء ردود أفعال القراء على الأثر، أي من الأحكام النقدية التي يطلقونها عليه، و الآثار الأدبية الجيدة هي تلك التي تمنى انتظار الجمهور بالخيبة، إذ الآثار الأخرى هي التي ترضي آفاق انتظارها و تليي رغبات قرائها المعاصرين، وهي آثار عادية جدا لأنها نماذج تعود عليها القراء"¹.

بمعنى أن العمل الأدبي الجديد حين يواجهه القارئ هو ما يسمّى بالمسافة الجمالية، هذه الأخيرة تتمثل في الموقف الذي يتخذه القارئ اتجاه الجديد، و عليه يكون رد فعل القارئ إما الرضا أو الخيبة و إما التّكيف مع الجديد.

ج-الفجوات:

يعد مصطلح الفجوات من الكلمات المفاتيح التي ارتكزت عليها نظرية التلقي، و قد ترجم هذا المصطلح إلى العربية بعدة ترجمات منها: الفراغات، البياضات، المسكوت عنه، الحذف...الخ.

ويعد الحذف من القضايا المهمة التي عاجلتها البحوث النقدية و البلاغية القديمة، فقد عرفه عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب

¹ - بوحسن أحمد، من قضايا التلقي و التأويل، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، د.ط، 1995، ص 108.

الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر و الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة "1

وهذا يعني أن الحذف يتطلب الحذر و يحتاج من القارئ التفكير العميق و التركيز، أمــــ قولـه: "شبيه بالسحر". بمعنى أنه لا يورد المتوقع من الكلام حتى يستفز المتلقي لكي يظهر قدراته، و في قوله: "الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة " بمعنى أن اختزال الكلام و إيجازه يكون أبلغ و أحسن، وكل هذا يدل على أن الجرجاني أولى اهتمامه بالمتلقي و ترك له العنان في إكمال النص و إنتاج معناه و دلالاته.

وفي موضوع آخر نجد الجرجاني يقول: " ما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها، إلا و أنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره و ترى إضماره في النفس أولى و ائنس من النطق به "2.

بمعنى أن القارئ يجد متعة في البحث عن الغائب المحذوف (ملء الفراغات) و السعي إلى سد ما افتقده في الفكر لا في النص، لأن إظهاره بالفعل من شأنه أن يثقل النص و يترع الرونق عنه. مما تقدم يمكن القول أن الاهتمام بالمتلقي له جذور ضاربة في عمق التراث العربي القديم، و تجدر الإشارة هنا أن النقاد العرب سبقوا علماء الغرب فيما توصل إليه حديثا فيما يعرف بـ " الفجوات " فيما كان يطلق عليه بالحذف غير المخبر عنه .

"و يوجد في النص مجموعة من الفجوات أو الفراغات التي يتركها المؤلف للقارئ من أجل ملأها، فكل جملة تمثل مقدمة للجملة التالية، و تسلسل الجمل يحاصر بمجموعة من الفجوات غير

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح: محمد الثنجي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط1، 2005، ص 106.
2- م.ن ، ص 112.

المتوقعة، والتي يقوم القارئ بملاؤها مستعينا بمخيلته، فيساهم بذلك في إتمام معنى العمل الأدبي، وإن النص ناقص بما فيه من فجوات، وهذه الفجوات تنتظر مساعدة القارئ من أجل ملأها، وهي التي تحقق عملية الاتصال بين النص والقارئ¹.

وهذا يوحي إلى أن الفجوات رحلة تخوضها مخيلة القارئ نحو البحث عن الغائب والمسكوت عنه، مما يفتح له بابا واسعا لإظهار قدراته الذهنية والعقلية من تأويلات وتفكيك وتركيب وغيرها، وبذلك يصبح القارئ منتج ثاني يشكل نصا جديدا كاملا غير ناقص، وبمعنى آخر النص يجد ذاته سر يحتاج إلى الكشف، والكشف يكون من خلال ملء الفراغات من طرف القارئ، فالنص هو الذي يدفع بقارئه إلى المشاركة في إنتاج المعنى أفضل من أن يقدمها له جاهزة، وأن لا معنى لنص حتى يقرأه شخص ما ويمنحه دلالة معينة، وبهذا نصل إلى أن النص لا يتحقق وجوده إلا من خلال القراءة و ملء البياضات.

د- المفاجأة:

جاءت كلمة المفاجأة في النقد الأسلوبي وفي الشعرية بشكل واضح، "وهي تعني ذلك الأثر الذي يخلقه نص أو عبارة من نص في وعي القارئ، أو ذلك الاستنفار الذي تثيره المنبهات في القارئ وتجعله مستنفرا، وقد اعتمدت نظرية ريفاتير في تحديد مفهوم الأسلوبية على عنصر المفاجأة، ويمثل هذا فيما يحدثه تجاوز النمط أو السائد أو المعروف من مفاجأة لمتقبل الرسالة (...). بحيث كلما كانت الخاصية غير منتظرة كان وقعها على نفس القارئ أعمق"².

¹ - بوحسن أحمد، من قضايا التلقي والتأويل، ص 108.
² - موسى سامح ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي - دراسة تطبيقية، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 101.

وهذا يعني أن المفاجأة أو الصدمة التي يقوم بها الكاتب في نصه هي خرق و تجاوز لما هو متوقع و منتظر، فلأمتوقع هو الذي يثير وعي القارئ و يستفز و يخلق له ما يسمى بلذة القراءة، و يشوقه لمعرفة الحقيقة و المعنى العميق و الدلالة الباطنية للنص، فتحدث بذلك جمالية و متعة للقارئ أثناء قراءته للعمل الأدبي و التفاعل معه.

وتجدر الإشارة هنا أن المؤلف في أغلب الأحيان يعهد في عمله الأدبي إلى ما يسمى بـ " الانزياح " بمعنى الخروج باللغة العادية إلى اللاعادي و غير المألوف و اللامتعارف عليه، "لأن الشيء من غير معدنه أغرب، و كلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، و كلما كان أطرف كان أعجب، و كلما كان أعجب كان أبعد." ¹ كما جاء في كتاب "الشعر و الشعراء " لابن قتيبة، أي أن الكاتب يهدف من خلال نصه إلى استفزاز القارئ و توهجه و تشويقه و إثارة خياله و عواطفه، وهزّ سمعه، حينئذ يحدث ما يسمى بـ " جمالية القراءة"، و هنا يرى " حسن لشقر " في كتابه " الشعر و التشكيل جمالية القراءة و الدلالة " "أن البعد الجمالي في النص الشعري يكمن في قدرة المبدع على اللعب بالكلمات وصولاً إلى صورة شعرية تفيض جمالية (...)،ناهيك عن خرق المؤلف في اللغة العادية و الانزياح عن المعيار المتداول تحقيقاً لوظائف تعبيرية أو جمالية" ².

وهذا يدل على أن الجمالية الذي يسعى الكاتب إلى تحقيقها تكون من خلال استخدام اللغة في معناها المجازي و الإيحائي بهدف مفاجأة القارئ و استفزازه.

6/أنواع القراء:

يعتبر القارئ محور نظرية التلقي التي شكلت ثورة في تاريخ الأدب، حين أعادت الاعتبار لهذا

¹ - الجاحظ(أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، القاهرة، ط7، 1997، ص 90.

² - حسن لشقر، الشعر و التشكيل- جمالية القراءة و الدلالة-، مكتبة دار الأمان، الرباط، ط.د.ت، ص 26.

العنصر وبوّاته المكانة اللّائقة على عرش الاهتمام الذي تناوله المؤلف و النص من قبل، ذلك أنّ القارئ ضمن الثالوث الشهير (المؤلف، النص، القارئ) ليس مجرد عنصر سلمي يقتصر دوره على الانفعال بالأدب، بل يتعداه إلى خلق نوع من الجمالية في إنتاج المعنى و تلقي النصوص، و إذا كان الاهتمام بالقارئ يشترك فيه جميع منظري التلقي، فإنّ تصنيف القراء يكون وفق منهج صاحبه ووفق توجهه في قراءة النص و إدراكه، وقد أحصى الدارسون عدّة أنواع للقراء نذكر منها:

أ-القارئ الضمّني:

مسألة القارئ الضمّني عرف بها ايزر في النّقد الأدبي، "فالقارئ الضمّني عنده محدد من خلال بنية واستمرارية لتناج المعنى على أساس أنّ التّناج من صنع القارئ أيضا لا من صنع الأديب وحده، و يعرف ايزر القارئ الضمّني في كتابه الذي يحمل اسمه بأنه: " حالة نصية وعملية إنتاج المعنى على السّواء"¹.

وهذا يدل -حسب ايزر- على أنّ القارئ الضمّني طرف ملازم للنّص له دور في فهم الأدب و أنّه يتجسد من خلال بنية النص.

ب -القارئ النموذجي:

"باعتبار أنّ النصّ منتوج ينبغي أن يكون المصير التفسيري قسما من آليته التّوليدية و الخاصّة و ينبغي أن يتكهن مؤلّفه بقارئ نموذجي قادر على المشاركة في العصرنة النصّية بالطريقة التي يظنه المؤلف قادرا عليها وقادرا أيضا على التّصرف تفسيرا كما تصرف هو توليديا"².

¹ - روبرت هولب، نظرية التلقي -مقدمة نقدية-، ص 136.

² - محمد خير البقاعي، بحوث في القراءة والتلقي، المركز الوطني للبحث العلمي، بلجيكا، د. ط، د. ت، ص 49.

"فقد عرفه الإيطالي "ايكو" بأنه مجموع شروط النجاح أو مجموع عناصر التوفيق التي تنشأ نصيا والتي لا بد أن تحقق، وتعني هيئة المتلقي النشط الفعال الذي تفترض وجوده عملية فك رموز الحكاية على أحسن ما يكون".¹

"وينتهي ايكو إلى التأكيد على أن المؤلف حين يكتب نصا، يصوغ فرضيته حول تصرف قارئه النموذجي، وطالما أن هذه الفرضية تكتب عالما يتوقعه القارئ و يأمل بوجوده، فإنها لا تكون متعلقة بالنص وإنما بحالة المؤلف النفسية".²

وهذا يعني أن القارئ النموذجي هو مجموعة ظروف التقدم والسعادة، وأنه القارئ الذي يستجيب استجابة حسنة لرغبات الكاتب على ما يتطلب النص، فالقراءة -حسب ايكو- تعني الاستنباط والاستنتاج والتمكن وعلى القارئ أن يكون آلة لإنتاج التفسيرات.

ج-القارئ الحقيقي:

"يعرف على أنه موضوع بيولوجي و سيكولوجي معا، و أنه حامل لردود أفعال نفسية و لتروات يشترك فيها الناس جميعا، يساعدنا على فهم كيف يعمل باطن النص".³

بمعنى أن القارئ الحقيقي هو القارئ الموجود فعلا و الذي يمارس فعل القراءة على أرض الواقع.

د-القارئ الافتراضي:

¹ - أحمد بوحسن، نظرية الأدب -القراءة، الفهم، التأويل، نصوص مترجمة-، دار الأمان، الرباط، د.ط، د.ت، ص41.

² - عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية -بحث في تأويل الظاهرة الأدبية-، دار أويا للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، د.ت، ص12.

³ - حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2011، ص53.

صاحب هذه النظرية هو الأسلوبى المعروف ريفاتير، "يفهم القارئ الجامع كآلية لتحديد مجموعة من المجرّين المجتمعين في بؤرة واحدة داخل النصّ يمكن عن طريقها الكشف عن وجود الواقعة الأسلوبية وفن ردود أفعالهم، وعلى الرغم من الطابع التحريبي الصرف الذي يكشف هذا النوع من القراء فإنّ ايزر يرجع إليه الفضل في التقليل من جبروت اللّسانيات الأسلوبية"¹.

هـ-القارئ المثالي:

"عند ايزر هو تخيل محض، لأنّه القارئ القادر على استنفاد معنى التّخيل، و من هنا فإنّه يفتقد إلى مرتكز واقعي، و هذا نفسه سر جدواه بوصفه تخيلاً فإنّه يملأ ثغرات الحجّية التي تنفتح في أثناء مقارنة العمل و التّلقي الأدبيين، و هذا قادر بفضل لانهائية التّخيل أن ينسب إلى النصّ مضامين متغيرة بحسب نوع الشّكل المطلوب حله"².

وهذا يعنى أنّ القارئ المثالي هو قارئ متخيل غير واقعي.

7/بوادر التلقي عند العرب القدماء:

تجدر الإشارة أن مفهوم التلقي عرفته الساحة النقدية العربية قبل أن يعرفه الغرب المحدثين، فلقد تناول النقاد العرب القدماء إشكالية العملية الإبداعية من خلال عناصرها الثلاثة: المبدع، النص والمتلقي في فترة مبكرة من حركة تطور النقد العربي القديم، "فقد تناول النقاد (المبدع) من خلال ما أسموه (بالمتكلم) و(القائل) وهو ما تم التعبير عنه بشكل واضح من خلال قول الجاحظ (ت255 هـ): "لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام"، كما عالج النقاد العرب

¹ - وحيد بوعزيز، حدود التأويل -قراءة في مشروع امبرتو اكو النقدي-، الدّار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص90.

² - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص133.

(النص) كعمل فني من خلال ما أسموه (الكلام الأدبي)، وقد أكد ابن رشيق القيرواني هذا المفهوم بقوله: "وكلام العرب نوعان: منظور ومثور."، كما استعمل قدامه بن جعفر كلمة (القول) لتدل على الشعر، فقال: "الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى."، وقد جاء ذكر المتلقي عند النقاد القدماء بصورة المقام، وفي أحيان أخرى كلمة (السامع) كقول الجاحظ: "وما يجب لكل مقام من المقال"، ومن الجدير بالذكر أن النقاد العرب القدماء لم يكتفوا فقط بدراسة أركان العملية الإبداعية، وإنما تجاوزوا ذلك إلى طبيعة العلاقة والتفاعل بين وظيفة المبدع والمتلقي وعلاقتهما بالنص الأدبي¹.

فالملاحظ للقول السابق يتبين له أن النقاد العرب القدامى اهتموا بدراسة عناصر العملية الإبداعية من مبدع ونص ومتلقي وسبقوا الغربيين في الإشارة إليها، كما يتضح لنا أن المفهوم كان واحد غير أن المصطلح مختلف.

وقد ورد في كتاب "التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء" للدكتور محمد بن حسن بن التجاني "أن عملية التلقي في مفهوم حازم ومنظوره "مخطط مضبوط ومحكم، تضبطه شروط محددة سلفاً، يجب أن تستحضر من لدن الشاعر والمتلقي، عقد يتضمن وجود سامع يستقبل القول الشعري حسب استعدادات متماثلة أو متشابهة، من حيث الالتذاذ بالتخييل ومناسبته للطبيعة وتجاوبه مع حاجات النفس الجمالية وفق منطلقات تجعل القائل يرسل القول الشعري وهو يعرف أن ثمة مرسلاً إليه يستقبله"².

¹ - محمود درابسة، التلقي والإبداع - قراءات في النقد العربي القديم، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أربد - الأردن، د.ط، 2003، ص 11.
² - محمد بن حسن بن التجاني، التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، د.ط، 2011م، ص 214.

وهذا يدل على أن حازم القرطاجني سبق الغربيين فيما توصلوا إليه اليوم بما يسمى "عملية التلقي"، هذه الأخيرة لا تتحقق إلا من خلال مشاركة القارئ في بناء النص وإنتاج معناه.

8/ مفهوم الشعر الإسلامي

إذا ما عدنا إلى مفهوم الشعر الإسلامي فهو ذلك "الشعر الذي ظل يصور حياة الناس، و يسيل على ألسنة الشعراء، حيث يستوعب همومهم و يعبر عما يجيش في صدورهم و يدور في أفكارهم، فقد كانت الروافد الإسلامية أكثر الروافد التي أمدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة و الأفكار البديعة، فحيثما انفعّل الشاعر تفجرت قريحته و سال لسانه بكلمات الشعر، وقد عرف الشعر الإسلامي أغراضا جديدة لم يعرفها الشعر من قبل كالشعر الديني، و فيه يتحدث الشعراء عن وحدانية الله وعن الوحي و النبوة، وعن عقيدة الخلق والحياة، وعن الموت والبعث والحساب، وعن الثواب والعقاب، والجنة و النار، والحلال والحرام، وكذلك غرض الوعظ والإرشاد، وفي هذا اللون الشعري حاول شعراء صدر الإسلام الإفادة من الفهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا إليها القرآن، إضافة إلى غرض الوصايا والزهد"¹؛ بمعنى أن الإسلام أمر عظيم الشأن، كذلك أراد الشعر أن يكون عظيمًا مستمدًا من روحه وعظمته وأهدافه السامية.

9/ موقف الإسلام من الشعر:

¹ - سامي مكي، الإسلام والشعر، إشراف: محمد المشاري العرواني، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص 68-74.

"وردت لفظه الشَّعر و الشَّعراء في مواضع عدة في القرآن الكريم، تنفي معظمها ما حاول كفار قريش إصاقه برسول صلى الله عليه و سلم من اتِّهامات باطلة، فبعد أن أحسوا بروعة القرآن و عظمة بيانه قارنوا تأثيره بتأثير الشَّعر في الأسماع و القلوب، فادَّعوا الشَّعر على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فنفى القرآن دعواهم هذه بقوله تعالى : ﴿وما علَّمناه الشَّعر و ما ينبغي له إن هو إلا ذكرى و قرآن مبين﴾¹. " فالشَّعر من حيث هو فن يجوز للمسلم أن يقوله و يتعاطاه، و لا يحرم ذلك عليه، فلا نستطيع القول بأن الآية التي وردت في "سورة الشعراء" حرب على الشَّعر و محاربة له بقدر ما هي حرب على المسلك و المنهج الذي سار عليه الشعراء: ﴿والشَّعراء يتَّبِعهم الغاوون (224) ألم تر أنَّهم في كل واد يهيمون (225) وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون (226)﴾ إلا الذين آمنوا و عملوا الصَّالحات وذكروا الله كثيرا و انتصروا من بعد ما ظلموا و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾^{*} ، فالقرآن يوجِّه الشَّعراء إلى الطريق الأمثل ، وهو يعد تمييز بين فريقين من الشَّعراء، فريق استغل هذا الفن فيما ينافي هذا الدِّين ، و فريق اتَّجه إلى نصر الحق".²

فالقضية إذن ليست في الشَّعر ذاته وإثما فيما يتناوله من معاني وأغراض.

"وإنَّ القرآن الكريم لم يحارب الشَّعر لذاته، وإثما حارب المنهج الذي سار عليه الشَّعر والشَّعراء، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، فالشَّعر سلاح ذو حدين قال الرسول صلى الله

¹ - عبد الرزاق حسين، في النص الإسلامي و الأموي -دراسة تحليلية-، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط 2، 2006، ص7.

^{*} - القرآن الكريم، سورة الشعراء ، الآية(224-227).

² - عبد الرزاق حسين، في النص الإسلامي والأموي -دراسة تحليلية - ، ص8.

عليه وسلم: (إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه)¹.

بمعنى أن الشعر فيه الحسن والقيح، والإسلام كان يحث على الشعر الذي يهدف إلى الإصلاح والخير والحق.

10/ خصائص الشعر الإسلامي:

ثمة سمات عامة يمكن أن يتميز بها الشعر الإسلامي، و من تلك السمات "أن أشعارهم كانت تعبيرا جماليا مؤثرا، عن مواقف و تجارب و تصورات أولئك الشعراء إزاء الكون و الحياة والإنسان، فقد حاول الشعراء التوفيق بين جمالية النص من ناحية وتأثيره من ناحية أخرى، ومع ذلك فقد شاع في أشعارهم ما نطلق عليه اليوم مصطلح الالتزام، حيث اتخذ الشعر أداة لإصلاح المجتمع، وخدمة العقيدة التي آمنوا بها، كما تميّز الشعر بالواقعية و إلى جانب هذه السمات العامة، يمكن أن نرى بوضوح أثر الإسلام في كل الجوانب الفنية لتلك الأشعار، حيث يظهر ذلك جليا في أنواع القسم و الدعاء و القصص، وقد حاول معظم شعراء العصر الإسلامي تحرير أشعارهم مما كان يثقل الشعر الجاهلي من التعقيد والحشونة والصعوبة، ومالوا نحو السهولة و السلاسة والوضوح، وقد انتهجوا في ذلك منهج القرآن الذي تميزت ألفاظه بالرفقة والسهولة و الوضوح مع الفصاحة و البلاغة، و عن التطور الذي طرأ على اللغة الشعرية بعد الإسلام يقول الجرجاني: (فلما ضرب الإسلام بحرياته، واتسعت ممالك العرب، و كثرت الحواضر، و نرعت البوادي إلى القرى و فشا التأدب و التطرف، اختار الناس من الكلام ألينه و

¹ - سامي مكي، الإسلام والشعر، ص38.

أسهله، وعمدوا إلى أسماء كثيرة، فاختاروا أحسنها سمعا، وألطفها من القلوب موقعا، وإلى ما للعرب فيه من لغات، فاقصروا على أسلسها وأشرفها" ¹.

كخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أنّ بؤادر التّلقّي تعود إلى النّقد العربي القديم، الذي يعدّ السّابقة التّاريخية لنظرية التّلقّي الغربية الحديثة، ويرجع له الفضل في الإشارة إلى دور القارئ في العملية الإبداعية، فلو وجد النّقد العربي القديم من يكمل به المسير الذي سار عليه النّقاد العرب القدماء لتفوّق على النّقد الغربي الحديث بما في ذلك نظرية التّلقّي، هذه الأخيرة لم تنشأ من فراغ بل لها مرجعيات (كالتّشكلائية، البنيوية وسوسيولوجيا الأدب وغيرها)، وأنّ مصطلحات نظرية التّلقّي (أفق التّوقع، المسافة الجمالية، المفاجأة) تتعلّق كلّها بالمتلقّي وردود فعله اتجاه العمل الأدبي .

قبل التطرق إلى ردود فعل الأشراف اتجاه شعر حسان بن ثابت يجب الإشارة أولاً إلى أنه كانت هناك ممارسات نقدية على النصوص الشعرية من قبل ما يعرف بالأشراف (العظماء من الناس من مماليك وأصحاب المهمم العالية) (مثل الرسول صلى الله عليه وسلم و من تبعه من الخلفاء الراشدين كأبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عائشة رضي الله عنها...) ، إضافة إلى ذوي الصنعة والاختصاص من نقاد وكتاب وشعراء الذين كانت كلمتهم مسموعة، فالأشراف هو المصطلح الأنسب لهم، فالأصح أن نقول لهم الأشراف وليس النقاد.

ومن الطبيعي أن لكل شاعر جمهور من المتلقين، منهم من يعجب بشعره و يقدره و يطرب له، ويبيّن مواطن الجودة والاستحسان فيه، و يجزيه جزيل الشكر و الثناء، ومنهم من يرفض شعره و ينقده ويبيدي الملاحظات والآراء على شعره ويبيّن مواطن الخطأ والعيب فيه، و هذا هو حال شعر حسان بن ثابت.*

* هو حسان بن ثابت من بني النجار ثم من الخزرج، ينتهي نسبه إلى قحطان، فهو إذن يمني، أمه الفريعة بنت خالد بن قيس من الخزرج كذلك، يكنى أبا الوليد، و أبا عبد الرحمن، و أبا الحسام، ولد في يثرب، كما أنه من أهل المدر، أي سكان المدن و القرى، و على نشأته الحضرية كان متأثراً بالحياة البدوية، يظهر ذلك في شعره، خصوصاً ما قاله في الجاهلية، اتصل بالغساسنة ملوك الشام، فكان يفد عليهم في عواصمهم، فيمدح أمراءهم، فيفيضون عليه بنعمهم، و لما ظهر الإسلام و هاجر النبي إلى يثرب أسلمت الأوس و الخزرج و أسلم حسان، فكان من الأنصار، بيد أنه إذا كان لم ينصر الدين الجديد بسيفه فقد نصره بلسانه، سلاحه الوحيد الذي شهره على أعداء النبي صلى الله عليه وسلم. كفّ بصره في آخر أيامه، مات في المدينة في خلافة معاوية، و كان من المعمرين، قيل أنه عاش مئة و عشرين سنة، ستين في الجاهلية و ستين في الإسلام؛ حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ص 05.

I - ردود فعل الأشراف الذين استحسّوا شعر حسان بن ثابت

لقد قسّمت ردود فعل الأشراف الذين استحسّوا شعر حسان بن ثابت إلى قسمين: ردود فعل حسّية وأخرى معنوية.

1- ردود الفعل الحسّية:

من المتعارف عليه أنّ الشعراء القدامى كانوا يجوبون الفياقي بلدة بعد بلدة ليمدحوا الأشراف و الأمراء والملوك و الخلفاء و أصحاب المال و الجاه، فيفضون عليهم بنعمهم، و يعد حسان بن ثابت واحد من الشعراء الفحول الذين تفنّنوا في مدح الأشراف، فنال جزاء ذلك جزيل الشكر و الثناء.

أ- ردود فعل الرسول صلى الله عليه و سلم:

قبل الحديث عن موقفه صلى الله عليه و سلم من شعر حسان بن ثابت ينبغي أن نورد موقفه صلى الله عليه و سلم من الشعر عموماً، فلا شك أنّ موقفه صلى الله عليه و سلم من الشعر و الشعراء هو تجسيد لموقف كتاب الله عزّ و جل، فقد ميّز صلى الله عليه و سلم بين الشعراء الغواة و الشعراء الصالحين، " ومن ذلك ما روي عنه أنّه قال: (إنّما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحقّ منه فهو حسن و ما لم يوافق منه فلا خير فيه)، و قوله كذلك صلى الله عليه و سلم: (إنّما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث و طيّب)"¹.

بمعنى أنّ الشعر قد يكون خبيث و هو الكلام الفاحش الذي يبعد صاحبه عن دينه، و يمنعه عن ذكر الله، وهو لا يتماشى مع تعاليم الإسلام، و قد يكون الشعر كلام طيّب و هو الكلام الذي يوافق الحقّ

¹ - واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، دب، ط1، 1994 م، ص 76.

والخير، و هذا الأخير (الشعر الطيب) استحسنته صلى الله عليه و سلم و أعجب به و شجع الشعراء على قوله.

"كما روي عنه قوله صلى الله عليه و سلم: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)¹؛ وهذا القول يؤكد أن النبي صلى الله عليه و سلم كان على دراية بمكانة الشعر في نفوس العرب الذين كانوا ينفسون بالشعر عن مشاعرهم و يعبرون عن أحاسيسهم و عن خلجات نفوسهم و عواطفهم و شوقهم و حنينهم، بحيث أنهم لا يستطيعون عنه بعدا.

"و بمجرد أن اشتبكت السيوف بين المسلمين و المشركين اختار الرسول صلى الله عليه و سلم فريق من شعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحه ليردوا على شعراء المشركين من أمثال عبد الله بن الزبير و أبي سفيان و عمرو بن العاص، و أذن لهم أن يهجوا قريش و الدفاع عن الإسلام و المسلمين من أكاذيبهم و بهتانهم، و قد أعجب الرسول صلى الله عليه و سلم بشعراء المسلمين، و كان يرى لأشعارهم تأثيرا قويا على أعدائه، فقال صلى الله عليه و سلم: (ما منع القوم الذين نصرُوا رسول الله عليه و سلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم)، و قوله أيضا : (إن المؤمن من يجاهد بسيفه و لسانه)².

فقوله صلى الله عليه و سلم يعني أن الفكر وحده أو السيف وحده ليس كافيا للدفاع عن العقيدة وأعراض المسلمين ما لم يلتحم بالفن الشعري المؤثر.

¹ - واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، ص 77.

² - ختير عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الإسلامي والأموي، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، د. ط، د. ت، ص 41.

وقد كان إعجابه بشعر حسان بن ثابت أشد وأولع، و ما يؤكد ذلك " ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن شعراء المسلمين الذين انتدبهم للرد على شعراء المشركين: " أمرت عبد الله بن رواحه فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى " ¹.

فالقول السابق يدل على التأثير العظيم لشعراء المسلمين في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم و إعجابه بشعرهم وخاصة شعر حسان بن ثابت الذي كان له وقع شديد عنده صلى الله عليه وسلم. "وقد كان صلى الله عليه وسلم يحرّض حسان بن ثابت على هجاء المشركين قائلا: (اهجهم و الله لهجائك عليهم أشد من وقع السهم في غلس الظلام، اهجهم و معك جبريل روح القدس، وألقى أبا بكر يعلمك تلك الهنات) " ².

بمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي طلب من شعراء المسلمين هجاء المشركين و شعرائهم، وقد أمر حسان بن ثابت بأن يستعين في هجاءه لقريش بأبي بكر لأنه - كما نعلم - كان على دراية بمثالب قريش و أيامها و أنسابها.

¹ ختير عبد ربي، النقد الأدبي في العصر الإسلامي والأموي، ص. ن .
² -م. ن ، ص 42.

أما عن ردود فعله المادية صلى الله عليه وسلم اتجاه شعر حسان بن ثابت فتتمثل في ما يلي:

-الرضا والهبة:

"روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن حسان بن ثابت أنشد الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستنكر ذلك، بل بنـــــــي له في المسجد منبر ينشـــــــد عليه الشعـــــــر، و كان صلى الله عليه وسلم يقسم له في الغنائم، و قد أهدها بستانا. "1.

"و قد روي أن حسان بن ثابت قال: يا رسول الله بأبي -أنت -و أُمي احفظ قولي :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ *** وَ عِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَ وَالِدَهُ وَ عِرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

فرضي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم و وهب له سرين أخت ماريه القبطية "2.

-الضحك

" و قد سمع أن حسان بن ثابت أنشد النبي صلى الله عليه وسلم:

وَ قَدْ أَرَانِي أَمَامَ الْحَيِّ مُنْطَقًا *** بَصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَّاعٍ

تَحْفِزُ عَنِّي، نَجَادَ السَّيْفِ، سَابِغَةً *** فَضْفَاضَةً مِثْلَ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ

فضحك الرسول صلى الله عليه وسلم، فظن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جنبه "3.

1 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي:العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط19، د.ت ، ص 77.

2 - رحاب عكاوي، حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة و الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996، ص 30.

3 - جمانة يحي الكعكي، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص 06.

فالملاحظ لردود فعل الرسول صلى الله عليه و سلم السابقة الذكر، يجد أنه كان صلى الله عليه و سلم أفصح العرب يتذوق الشعر الجيد من الرديء، فليس بدعا من الرسول العربي أن يعجب بالشعر العربي كما يعجب به أصحاب الذوق السليم.

ب- رد فعل الحارث بن عوف:

-البكاء:

"و قال رضي الله عنه يهجو الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي:

إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ *** وَالْغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبِرِ

وَأَمَانَةُ الْمُرِّيِّ، حَيْثُ لَقِيَتْهُ *** مِثْلَ الزُّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَمْ يُجْبِرِ

بكى الحارث من هجائه له بدموع غزار واستجار بالرسول صلى الله عليه و سلم متوسلا إليه أن يكفّه عنه"

1.

و قال: "يا محمد، أجري من شعر حسان، فوالله لو مزج به ماء البحر مزجه" ².

من خلال رد فعل الحارث بن عوف أثناء تلقيه للبيتين السابقين لشعر حسان بن ثابت، يتبين لنا أن

هجاء حسان أثر فيه حد البكاء، إلى درجة أنه استجار بالرسول صلى الله عليه و سلم أن يكفّه عنه، نظرا لما

في شعره من لدغ شديد ووقع عظيم على النفوس، فصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال: "

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، ص 79.

² - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دب، دب، دب، دب، ص 41.

لهذا أشدّ عليهم من وقع النبيل " بمعنى أنّ شعر حسان بن ثابت كان بمثابة السلاح القوي الذي حارب به قريش ودافع به عن أعراض المسلمين و الإسلام، فكانت قريش تجزع منه كل الجزع، و تتألم منه أشدّ الألم.

ج-ردود فعل جبلة بن الأيهم :

-البكاء:

"حكى الزبير بن بكار أنّ جبلة بن الأيهم قال للجواري أطربنني فاندفعن يغنين:

لمن الدارُ أقفرت بمعانٍ *** بين شاطئ اليرموكِ فالصَّمانِ

فالقريّات من بلاسِ فدارٍ *** يَا، فسكّاء، فالقُصُورُ الدّواني

فَقِفًا جاسم، فأوديّة الصّ *** فر، مُعني قبائلٍ وهجانِ

(مقتطف من شعر حسان بن ثابت يمدح فيه جلبيه بن الأيهم)

قال: يا جارية هاتي، فأنته بخمس مائة دينار، و خمسة أثواب من الدّيباج، فقال: ادفع هذا إلى حسان و أقرئه مني السّلام، فبكي و بكيت معه "1.

فموقف جلبيه بن الأيهم من شعر حسان بن ثابت السّابق دليل على عظم شعر حسان عنده، و جليل تأثيره في قلبه، كما يدل على إعجابه بشعره و استحسانه له، أما بكاؤه يدل على إحساسه المرهف و موقفه الإنساني النبيل.

-الهدية:

1- رحاب عكاوي، حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة و الإسلام، ص48.

"و قال حسان بن ثابت: أتيت جبلة بن الأيهم الغساني، و قد مدحته فأذن لي فجلست بين يديه، و عن يمينه رجل له ظفيران، و عن يساره رجل لا أعرفه.

فقال: أتعرف هذين؟

فقلت: أما هذا، أعرفه، و هو النابغة، و أما هذا، فلا أعرفه.

قال: فهو علقمة بن عبده، فإن شئت استنشدتكما، و سمعت منهما، ثم إن شئت أن تنشد
بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت.

قلت: فذاك

قال: فأنشده النابغة:

كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ *** وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

قال: فذهب نصفي، ثم قال لعلقمة: أنشد، فأنشد:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ *** يُعِيدُ الشَّبَابَ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ

فذهب نصفي الآخر، فقال لي: أنت أعلم الآن، إن شئت أن تنشد بعدهما نشدت، و إن شئت أن تسكت
سكت.

فتشدت ثم قلت: لا بل أنشد

قال: هات

فأنشدته:

لِللَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتُهَا *** يَوْمًا مَجَلَّقٍ فِي الزَّمانِ الأوَّلِ

أولادُ جفنه عند قبر أبيهم *** قبر ابن ماريه الكريم المفضل

بيضُ الوجوهِ كريمة أحسابهم *** شُمُّ الأثوفِ من الطرازِ الأولِ¹

"فقال لي: أدنه، أدنه، لعمرى ما أنت بدوئهما، ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصه لها جيب واحد، وقال: هذا لك عندنا في كل عام"².

من خلال رد فعل جبلة بن الأيهم الغساني يتضح لنا أن الشاعر حقق هدفه من خلال أبياته الشعرية ومن وراء مدحه، بمعنى التأثير في ممدوحه، مما جعله (الممدوح) يتأثر بأبياته الشعرية، و يتفاعل مع هذا النوع من الأغراض الشعرية (المدح)، ما أدى به إلى مكافأة الشاعر، لأن المدح يبعث في نفس الممدوح (المتلقي) الطمأنينة و الانشراح و النشوة و الراحة.

د-رد فعل عمر بن الحرث :

-الهدية:

"قال أبو عمرو الشيباني: قال حسان بن ثابت: قدمت على عمرو بن الحرث، فاعتاص الوصول عليّ إلي_____ه، فقلت للحاجب بعد مدة، إن أذنت لي عليه و إلا هجوت اليمن كلها ثم انقلب عنكم.

فأذن لي، فدخلت عليه، فوجدت عنده النابغة، و هو جالس عن يمينه و علقمة بن عبده، و هو جالس عن يساره، فقال لي: يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك و نسبك في غسان، ف_____ارجع فإني باعث

¹ - رحاب عكاوي، حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة و الإسلام، ص 41.

² - رحاب عكاوي، حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة و الإسلام، ص 42.

إليك بصلة سنيّة ولا أحتاج إلى الشّعْر، فإنّي أخاف عليك هذين السّبعين (التّابغة و علقمة) أن يفضحاك و فضيحتك فضيحتي و أنت و الله لا تحسن أن تقول :

رَقَاقُ التَّعَالِ طِيبٌ حُجْزَاهُمْ *** يُحَيِّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ

فقلت لهما: بحق الملك ألا قدمتما عليكما.

فقال عمرو: هات يا ابن الفريعة

فأنشئت :

أَسَأَلْتَ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ *** بَيْنَ الْخَوَانِي فَالْبُضِيعِ فَحَوْمَلِ

قال: فلم يزل عمرو بن الحرث يزحل عن موضعه سرورا، حتى شاطر البيت، وهو يقول هذا و أبيك الشّعْر، لا ما يعللاني به منذ اليوم، هذه والله القيتارة التي قد بترت المدائح، أحسنت يا ابن الفريعة، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة "1.

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أن الشّاعر في بيته الشّعري السّابق اختار من الألفاظ ما يحرك مشاعر المتلقّي بهدف استمالاته و جلبه للإصغاء و الاستماع، ألفاظ أبقى في السّمع و ألصق بالنّفس، و لهذا جزاه عمرو بن الحرث (المتلقّي) جزيل الثناء و اعترف بقدرته الشّعريّة.

2-ردود الفعل المعنوية:

أ-ردود فعل الرسول صلى الله عليه و سلم:

-الشّهادة:

1- رحاب عكاوي، حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة و الإسلام، ص 43.

"و من النماذج الشعرية التي استحسناها الرسول صلى الله عليه و سلم "قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

شَهِدْتُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، أَنَّ مُحَمَّدًا *** رسولُ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ من علُّ

و أَنَّ أَبَا يَحْيَى وَ يَحْيَى كِلَيْهِمَا *** له عملٌ في دينه متقبَّلُ

و أَنَّ الَّتِي بِالْجَزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ *** و من دَانِهَا فُلٌّ مِنَ الْخَيْرِ مَعَزِلُ

و أَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنَ مَرْيَمَ *** رسولُ أتى من عند ذي العرش مرسلُ

و أَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْدِلُونَهُ *** يقومُ بدينِ اللَّهِ فيهم، فيعدلُ

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أنا أشهد معك ¹.

فمن خلال رد فعل الرسول صلى الله عليه و سلم على شعر حسان بن ثابت تبين لنا أن ما قاله حسان في أبياته الشعرية السابقة الذكر صادق يتماشى و أفق توقع الرسول صلى الله عليه و سلم، و ما يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه و سلم: "أنا أشهد معك". بمعنى أنه يقرّ له بصحة ما قاله و يشهد معه و يتفق معه في ما قاله، كما يدل ذلك على أن الملكة الشعرية في حسان أنضج منها في سواه، لما له من قدرة على انتقاء المعاني و تخيير الألفاظ.

-التصديق:

"و روى صاحب جمهرة أشعار العرب بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بلغ النبي صلى الله عليه و سلم، أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ليس أحد منكم آمن عليّ في ذات يده و نفسه من أبي بكر، كلكم قال لي كذبت، و قال لي أبو بكر

¹ - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 186.

صدقت، فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ثم التفت إلى حسان فقال: هات ما قلت فيّ و في أبي بكر فقال حسان: قلت يا رسول الله:

إذا تذكرت شجواً من أخ ثقة *** فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلاً

التالي الثاني الحمد مشهده *** و أول الناس طراً صدق الرُّسُلَا

و الثاني اثنين في الغار المنيف، و قد *** طاف العدو به إذ صعد الجبالاً

خير البرية أتقاها و أرفها *** بعد النبي، و أوفها بما حملاً

عاش حميداً، لأمر الله متبعاً *** بهدي صاحبه الماضي، و ما انتقلأ.

فقال صلى الله عليه و سلم: صدقت يا حسان دعوا لي صاحبي قالها ثلاثاً¹.

وهذا يدل على أن الأبيات الشعرية السابقة التي قالها حسان بن ثابت لقيت إعجاب و استحسان من قبل الرسول صلى الله عليه و سلم، لما فيها من صدق و قيم أخلاقية تتماشى و الدين الإسلامي وصفات حميدة أكملت وقاره و حققت هيئته و رفعت قدره، و إذا قال النقاد قديماً: " أجمل الشعر أكذبه فإن شعر حسان يقال فيه: أجمل شعر حسان أصدقه."²

بمعنى أن شعر حسان بن ثابت صور عصره أصدق تصوير (العصر الإسلامي) بعيداً عن المغالاة و تجاوز الحقيقة، فقد وصف الشاعر في قوله السابق أبا بكر الصديق فأحسن وصفه.

-الوعد بالجنة:

¹ - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 174.

² - م.ن، ص 09.

"وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم و ذلك قبل فتح مكة، ويهجو أبا سفيان، و كان هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه *** و عند الله في ذاك الجزاءُ

فقال له صلى الله عليه وسلم: جزؤك عند الله الجنة يا حسان فلما قال:

فإنَّ أبي ووالدُهُ و عِرْضي *** لعرض محمدٍ منكم وقاءُ

قال له صلى الله عليه وسلم: وراك الله حرّ النار، ففضا له بالجنة مرتين في ساعة واحدة، وسبب ذلك شعره¹.

فرد الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على أن شعر حسان بن ثابت لقي استحسان من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه وافق انتظاره، فشعره يستنهض الهمم لنصرة الإسلام و يحرك النفوس و الخواطر للجهاد و الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان حسان بن ثابت بمثابة اللسان الناطق عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يمثل الإسلام والمسلمين، وأن المساس به يعني المساس بكرامة الإسلام، لذا نجده يهجو الكفار و المشركين و يحمي أعراض المسلمين و يدافع عنهم بقلمه.

ب- ردود فعل عائشة رضي الله عنها:

¹ - ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، د.ب، ط.د.ت، ص 23.

-التصديق:

هي أم المؤمنين و زوجة الرسول صلى الله عليه و سلم، عائشة رضي الله عنها، تعد من الأشراف الذين سمعوا شعر حسان بن ثابت فتذوقوه و أعجبوا به، "يروى أنّها رضي الله عنها وصفت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: كان و الله كما قال فيه حسان:

مَتَى يَدُ فِي الدَّاجِي الْبَهِيمِ جَبِينُهُ *** يَلُحْ مِثْلَ مَصْبَاحِ الدُّجَى الْمُتَوَقِّدِ
فَمَنْ كَانَ أَوْ مِنْ يَكُونُ كَأَحْمَدٍ *** نِظَامُ لِحَقٍّ، أَوْ نَكَالٌ مُلْحِدٍ¹.

فقول حسان وافق أفق توقع عائشة رضي الله عنها في وصف الرسول صلى الله عليه و سلم و دليل ذلك قولها: " كان و الله كما قال فيه حسان ".

فلاشك أنّ حسان بن ثابت جدير بتلك المكانة التي وضعه النقاد و الرواة بها، نظرا لأنّ القارئ لشعره يحسّ بكثير من الخصائص المميّزة التي أهلته ليكون في موضع التقدير و الإعجاب، و خاصة ذلك التفوق الظاهر في المدح لما فيه من محاسن تبتغى، كما يدل قول و رأي عائشة في شعر حسان على موقفها الفذ وطبعها الشعري و المكانة العظيمة لحسان عندها، و هذا بفضل شعره الذي مدح به الرسول صلى الله عليه و سلم فأبدع بامتياز.

-الدّفاع:

"أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبه قال أخبرنا أبو عاصم قال: أخبرنا ابن جريح قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه: أنّها طافت مع عائشة و معها أم حكيم و عاتكة : (امرأتان

¹ - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 60.

من بني مخزوم) قالت: فابتدرونا حسان نشتمه و هو يطوف، فقالت: ابن الفريعة تسبين؟ قلن: قد قال فيك فبرأك الله، قالت: فأين قوله:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ *** وَ عِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَ وَالِدَهُ وَعَرْضِي *** لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ¹.

فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها و بالرغم من أن حسان عيّرهما في إحدى أشعاره و اتّهمهما بالإفك إلا أنّها ظلّت تعترف بعظمته الشعريّة و براعته الإبداعية و غضبت حين شتمه نساء بني مخزوم، لأنّه كان يدافع عن الرّسول صلى الله عليه و سلم و عن الإسلام و المسلمين و يهجو الكفار و المشركين، فكان لهجائه وقع شديد على نفوس الأعداء.

ج-رد فعل أبا نواس:

-الاحتجاج:

" قال أبو علي الأصغر و كان من رواة أبي نواس: أنشدني أبو نواس قصيدة فلما بلغ قوله:

كيف لا يُدْنِيكَ من أَمَلٍ *** من رَسُولِ اللَّهِ من نَفَرِهِ

علمت أنّه كلام رديء موضوع في غير موضعه، و أنّه مما يعاب به، لأنّ حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أجدر أن يضاف إليه و لا يضاف هو إلى أحد، فرأى ذلك في وجهي، فقال لي: ويلك إنّما أردت أنّ

رسول الله صلى الله عليه و سلم من القبيل الذي هو منه كما قال حسان بن ثابت (ت 54هـ):

¹ -الأصفهاني(أبي الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، تح: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ط1، 2002 م، مج4، ص 122.

وما زال في الإسلام من آل هاشم *** دعائم عز لا تُرام و مفخر
بهايل منهم جعفر و ابن عمه *** علي و منهم أحمد المتخير.
و قال منهم كما قلت من نفره " ¹ .

يمكن أن نستخلص مما سبق أن أبا نواس انتحل شعره من شعر حسان بن ثابت، و هذا يظهر من خلال استشهادة بقول حسان و جعله حجة تبرر صحة قوله، ذلك أن حسان - كما نعلم - عرف بشاعر الرسول صلى الله عليه و سلم و اشتهر بهذا اللقب، فحسب قول أبي نواس أن شاعر مثل حسان بن ثابت العظيم يجيد الشعر و يحسن موضعه، و لهذا نسج كلامه على منواله.

" و قال بعض أهل المدينة: ما ذكرت بيت حسان إلا عدت في الفتوة و هو قوله:

أهوى حديث الندمان في فلق الصّ *** بح و صوت المسامر الغرد" ² .

من خلال رد فعل القائل تبين لنا أن شعر حسان بن ثابت يخلق في نفس المتلقي نوع من الحماسة والشجاعة و البسالة، و فيه تكمن معنى الرجولة الحقّة.

*اعتراف ذوي الصنعة و الاختصاص:

1- التّابعة الذبياني:

¹ - محمد مساعدي، تاريخ تلقي الشعر العربي القديم- نماذج من تلقي شعر أبي نواس-، ص 127.
² - ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ب، ج 1، ص 306.

" قال الزبير وحدثني محمد بن الحسن قال: حسان بن ثابت جئت نابغة بني ذبيان، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده، فأنشدته، فقال: إنك لشاعر، وإن أخت بني سليم (الخنساء) لبكاءة"¹.

فقول النابغة الذبياني لحسان بن ثابت،: "إنك لشاعر" يدل على اعتراف الناقد بشاعرية حسان بن ثابت، وأنه من فحول الشعراء في زمانه، شاعر كفء، كتب فأبدع حق الإبداع، كتب في مختلف الأغراض الشعرية (المدح، الفخر، الهجاء، الرثاء)، وبالرغم من أنه لم ينصر الإسلام و المسلمين بسيفه، إلا أنه نصره بقلمه و لسانه، فيكفيه شرفاً أنه شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم، كتب اسمه بأحرف من ذهب على صفحات التاريخ، فبقي خالدا بفضل شعره خلود الدهر، تتناقله النقاد و الرواة جيلا بعد جيل، فلولا شعر حسان بن ثابت لذهب كثير من أخبار الإسلام و المسلمين و الصحابة، و لما عرفت خصال النبي صلى الله عليه و سلم وصفاته تمام المعرفة.

2- أبو غزيرة:

"حدثنا أبو عباس قال: حدثني عبد الله بن شيب أبو سعيد، عن زبير قال: حدثني أبو غزيرة و عبد الجبار بن سعيد، عن عبد الرحمان بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد بن ثابت أن حسان بن ثابت قال في مقتل المنذر بن عمرو يرثيه:

¹ - الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين) ، الأغاني، ص 124.

صَلَّى الإله على ابن عمرو إِنَّهُ *** صَدَقَ الإله و صِدَقَ ذلك أَوْفَقُ
قالوا له أَمْرانِ فاختر منهما *** فاختار في الرَّأي الذي هو أَرْفَقُ.

فقال : الزبير: قال أبو غزيّة: لحسان بن ثابت مواضع: هو شاعر الأنصار، و شاعر اليمن، و شاعر أهل القرى، و أفضل من ذلك كلّهُ هو أنّه شاعر الرسول صلى الله عليه و سلم" ¹.

3-الخطيئة:

" قال الخطيئة: أبلغوا الأنصار أنّ شاعرهم أشهر العرب حيث يقول:

يغشون، حتى ما تهرّ كلامهم *** لا يسألون عن السّواد المقبل" ².

فالخطيئة اعترف بفحولة حسان بن ثابت و شاعريته من خلال بيت شعري واحد، هذا البيت الذي أغناه عن سماع بقية أشعاره، نظرا لما يحمله من قوة و تأثير شديدين، و بذلك فقد عدّه من أشهر شعراء العرب، كما يدل رد فعل الخطيئة كذلك على المكانة العظيمة التي يحتلها شعر حسان بن ثابت عنده.

4-الأصمعي:

جاء في كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة " قول الأصمعي اعترافا بشاعرية حسان بن ثابت: "... هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية (...). شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، و كان حسان يقدم على ملوك غسان بالشام، و كان يمدحهم، و من جيّد شعره قوله فيهم:

¹ - أبي العباس بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص 361
² - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 06.

أولاد جفنه حول قبر أبيهم *** قبر ابن ماريه الكريم المفضل

يَسْقُونَ من وردِ البريصِ عليهم *** بردى يصفق بالرحيق السلسل¹.

فالأصمعي اعترف بشاعرية حسان بن ثابت و بجودة شعره ،من خلال ما كتبه الشاعر في العصر الجاهلي، لأن الشعر الجاهلي غلب عليه الخيال الفني يهدف استمالة القارئ و تفاعله مع النص الشعري، فكما يقال "أصدق الشعر أكذبه"، و بذلك تتحقق غاية الشاعر (مشاركة القارئ في إنتاج العمل الأدبي).

5-ابن سلام الجمحي:

جاء في كتاب " طبقات فحول الشعراء" لصاحبة "ابن سلام الجمحي " اعترافا بشاعرية حسان بن ثابت وفحولته قوله: "... و من شعره الرائع الجيد، ما مدح به بني جفنه من غسان ملوك شام في كلمته:

لله در عصابة نادمتهم *** يوما مجلق* في الزمان الأول

يَمْشُونَ في الحُللِ المضاعف نسجهُ *** مَشِيَ الجمال إلى الجمالِ البزلِ

أولاد جفنه حول قبر أبيهم *** قبر ابن ماريه**الكريم المفضل

يَغْشُونَ، حتى ما قهرّ كلامهم *** لا يَسْأَلُونَ عن السّوادِ المقبل¹.

¹ - ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ص 305.

* جلق: المرجح أنها موضع قرب دمشق.

** ماريه: ذات القرطين و هي أم بني جفنه بن عمرو مزريقباء.

¹ -ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 58.

فابن سلام الجمحي رأى في الأبيات الشعرية السابقة روعة وجودة، نظراً لما في المدح من محاسن تبتغى وألفاظ تميز العاطفة وتمييز القارئ، تدفعه إلى الإصغاء والمتابعة، وتستميله إلى التفاعل والمشاركة، ألفاظ تبعث في نفسه النشوة واللذة والإحساس بالمتعة.

6- عبد الكريم النّهشلي:

وقد أورد الدكتور "بشير خلدون" في كتابه الموسوم بـ: "الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي" رأي الناقد عبد الكريم النّهشلي، أستاذ ابن رشيق صاحب كتاب "العمدة" من خلال مخطوطة المشهور بـ: "اختيار الممتع" رأيه في شعر حسان بن ثابت بقوله: "و من أحسن ما ينشد في دار مقامة القوم من الشعر الجامع لخصال المدح قول حسان بن ثابت الأنصاري في آل جفنه الغساني:

لله در عصابة نادمتهم *** يوما مجلق في الزمان الأول

يغشون حتى ما تهرّ كلامهم *** لا يسألون عن السواد المقبل

أولاد جفنه حول قبر أبيهم *** قبر ابن ماريه الكريم المفضل

ثم يشرح بعض مفردات القصيدة و يعلّق على بعض التعابير، كقوله مثلاً: (حول قبر أبيهم): أي هم أرباب مدائن و قصور و قرار ، لا منتحون من عدم و لا يرتحلون من خيم، و إنهم حول قبور آبائهم، و منازل أوليائهم و دار عزّهم، و يقال إنّ معنى قوله: (على قبر أبيهم)، أنّهم يقيمون على مآثره و سنته، و الأول أصح، و قوله: (ابن ماريه)، للشاعر أن يسمي الملك و يدعو به باسم أمه في الشعر، و باسمه لغير كنية، و ليس ذلك لغير الشعر بجائز إلا ضرورة على وجه الاحتقار، و هذا من فضل الشعر¹.

¹ - بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، د.ب، د.ط، 1981، ص80.

فمن خلال القول السابق يتبين لنا أن تعليق عبد الكريم النهشلي على شعر حسان بن ثابت في مدح آل جفنه الغساني يدل على إعجابه به كونه شاعر مشهور و معروف بحسن المدح و صدق الشعر، و هذا يظهر جليا من خلال قوله: (و من أحسن ما ينشد في دار مقامة القوم من الشعر الجامع لخصال المدح قول حسان بن ثابت)، كما يدل القول أيضا على أن حسان بن ثابت رضي الله عنه كان يجيد المديح و يخرجها في أحسن صورة، نظرا لعدوبة لفظه و حسن معناه.

*استحسان الأعداء لشعر حسان بن ثابت:

أ-بني تميم:(مفاخرة بين الزبرقان وحسان)

"وكان وفد على رسول الله، صلى الله عليه و سلم، و فد بني تميم سنة الوفود، و بعد فتح مكة، فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة، و قيس بن عاصم، و قيس بن الحارث، و نعمان بن زيد ، و عتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر، و الأقرع بن حابس في لفهم و لفيفهم، و دخلوا المسجد، و نادوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، من وراء حجراته، أن أخرج إلينا يا محمد ،جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل، فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل (...)، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم لثابت بن قيس الخزرجي: قم فأجب الرجل في خطبته: فقام ثابت ابن

قيس فقال: (...)، فقام الزبرقان بن بدر التميمي فقال:

نَحْنُ الْكَرَامُ، فَلَاحِيَّ يَعَادِلُنَا *** مَنَا الْمُلُوكُ وَفِينَا يُقَسِّمُ الرَّبْعُ

فَمَنْ يَقَادِرُنَا فِي ذَاكَ يَعْرِفُنَا *** فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَ الْأَخْبَارُ تَسْتَمَعُ

فلما فرغ الزبيرقان بن بدر من قوله قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لحسان: قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال، فقال حسان:

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَ إِخْوَتِهِمْ *** قَدْ بَيَّنَّا سَنَةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ

يَرْضَى بِهَا كُلٌّ مِنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ *** تَقْوَى الْإِلَهَ وَ بِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا¹.

"قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ *** أَوْ حَاوَلُوا التَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ *** إِنَّ الْخَلَائِقَ فاعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ

أَعْفَى ذَكَرْتَ فِي الْوَحْيِ عَفَّتُهُمْ *** لَا يَطْمَعُونَ وَ لَا يُرْدِيهِمُ الطَّمَعُ.

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كِرَامَتَهُ *** وَ مِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ جَاهَدٍ جَدَعُوا

خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا، إِذَا غَضِبُوا *** وَ لَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ *** إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَ الشَّيْعُ.

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ *** إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جَدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعُوا

¹-حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 143-145.

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: و أبي إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، و لشاعره أشعر من شاعرنا، و أصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا و جوّزهم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأحسن جوائزهم¹.

وهذا يدل على أن شعر حسان لقي استحسان من قبل وفد بني تميم، و ترك بصمته الخاصة في نفس الأقرع بن حابس (واحد من بني تميم)، لما فيه من كلام حسّاس و حرارة عاطفة تعبر عن قوة الإيمان، كما كانت ألفاظه سهلة جزلة تمتاز بجمال أنغامها و قوة جرسها و أسلوبها، حيث بين الشاعر في قصيدته أن الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه في الذروة من قومهم، و أنّهم قد تحملوا أعظم رسالة في الكون و هي نشر الدين الإسلامي و الدفاع عنه بالنفس و النفس، فهم كما يرى الشاعر في الحرب أبطال، و أنّ من شيمتهم الكرم في السلم، يقيسون الأمور بمقاييس العقل، و أنّ حبّهم للرسول صلى الله عليه و سلم جعلهم ينقادون له و ينفذون أوامره دون اعتراض، فكان النصر دائماً حليفهم، و يختتم الشاعر قصيدته بمدح أتباع الرسول صلى الله عليه و سلم، و تشرفهم بإتباعه، فلذا فإنّه يهدي إليهم كل مديحه الذي يصدر عن قلبه و لسانه، ففضلهم واضح لا يستطيع أحد أن ينكره.

ب-الزبير بن العوام:

"حدّثنا محمد بن جرير الطبري و الحرمي بن أبي العلاء و عبر العزيز بن أحمد عم أبي و جماعة غيرهم، قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزية محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم، و حسان بن ثابت ينشدهم من شعره و هم غير نشاط لما يسمعون منه فجلس معهم الزبير فقال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن

¹ - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص 146.

الفريعة، فلقد كان يعرض لرسول صلى الله عليه و سلم فيحسن استماعه و يجزل عليه ثوابه، و لا يشتغل عنه بشيء. فقال حسان:

- | | | |
|--------------------------------|-----|--------------------------------------------|
| أقام على عهد النبي و هديه | *** | حواريّة و القول بالفعل يعدلُ |
| أقام على منهاجه و طريقه | *** | يوالي وليّ الحقّ و الحقّ أعدلُ |
| هو الفارس المشهور و البطل الذي | *** | يصول إذا ما كان يوم محجّلُ |
| إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّه | *** | بأبيض سباق إلى الموت يرقلُ |
| و إنّ امرئ كانت صفية أمّه | *** | و من أسد في بيتها لمرقلُ |
| فكم كربة ذبّ الزبير بسفيه | *** | عن المصطفى و الله يعطي فيجزلُ |
| فما مثله فيهم و لا كان قبله | *** | وليس يكون الدّهر ما دام يذبلُ |
| تناؤك خير من فعال معاشر | *** | و فعلك يا ابن الهاشمية أفضل ¹ . |

ج- قول القائل يوم فتح مكّة:

¹ - الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، ص112.

"تفاعل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة و يتوعددهم:

عدمنا خيلنا، إن لم تروها	***	تثير التّع، موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات	***	على أكتافها الأسل الضمّاء
تظل جيانا متمطرات	***	تلطمهنّ بالخمّر النساء

فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسن وجوه الخيل و ينفضن الغبار عنها بخمرهن، فقال قائل: لله درّ حسان إذ يقول، و أنشد الأبيات السابقة.¹

د-أفخر بيت و أحكمه:

"و قد قالوا: لحسان بن ثابت أفخر بيت قالته العرب فقوله:

و يوم بدر إذ يردّ وجوههم	***	جبريل و تحت لوائنا محمد ² .
--------------------------	-----	----------------------------------------

فهذا البيت يوحى إلى أن المسلمين بفضل تمسكهم بدين الله و نصره رسوله الكريم انتصروا على أعدائهم يوم بدر.

فالحكم على البيت السابق لحسان بن ثابت بأنه أفخر بيت قالته العرب، يعني أن شعر حسان مفخرة للعرب أجمعين و للمسلمين خاصة، فهو ديوانهم الذي خلد مآثرهم و حفظ أيامهم.

¹ - ابن رشيقي القيرواني (أبو علي الحسين)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، د.ب.ط.، د.ت.، ص33_34

² - الأندلسي (أحمد بن محمد بن عبد ربه)، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترخيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط.، د.ت.، ص122.

"و أما أحكم بيت قالته العرب فقوله:

فإن امرأ أمسى و أصبح سالما *** من الناس إلا ما جنى لسعيد" ¹.

فهذا البيت يتضمن حكمة عظيمة تتمثل في أنّ السّعادة لا تتحقق إلا إذا كان المرء سالما، بمعنى السّلامة الروحية و الجسدية (الصحة)، فقولهم "أفخر" و "أحكم" جاءت على وزن "أفعل" و هي صيغة تفضيل، و هذا يدل على أنّ بيتي حسان السّابقان من أفضل الأشعار التي قالتها العرب على الإطلاق، وهذا ما يزيد من عظمة الشّاعر و علو شأنه و رفع قيمته عند العرب.

II-ردود فعل الأشراف الذين نقدوا شعر حسان بن ثابت

من المعلوم أنّ النّقاد العرب كانوا يحكمون على الشّعر و يميّزون جيّده من رديئة وفقا لمقاييس ومعايير نقدية معيّنة و من هذه المعايير ما يلي:

1-النّقد المعنوي:

تعد قضية اللفظ و المعنى من أهم القضايا النّقدية التي دار حولها الحديث منذ القدم، الألفاظ بما فيها من جمل و تعابير و أساليب، و المعاني بما فيها من أفكار و عواطف و خواطر و أخيلة، و ما يهم هنا هو النّقد المعنوي المتعلق بالمعنى لا اللفظ، هذه القضية اهتم بها النّقاد العرب -بصفة خاصة- في الشّعر على حساب النثر،"و إذا كان العربيّ شديد الحساسية بلغته، دقيق الإصاغة فيها، يجري في استعمالها على طبعة و سليقته، فإنه كذلك يدرك بفطرته أنّ اللّغة وضعت للتّعبير عن ذاته و عن إحساسه و عن قيّمه و مثله، و عن البيئة و الطبيعة من حوله، فإذا طابقت لغته المعنى الذي عبّر عنه مطابقة سليمة رضي عن ذلك و

¹ - الأندلسي (أحمد بن محمد بن عبد ربه)، العقد الفريد، ص 113.

طمأن إليه و عبّر عن إعجابه ورضاه، و إن ابتعدت عباراته عن إصابة الهدف بأن جرح إلى مبالغة لا يرضاها، أو انحراف إلى معنى لا يرضى صحة الإفضاء به أو التحدث فيه لبعده عن قيمة العامة و مثله التي ارتضاها، أو قصرت عباراته عن التجاوب مع المقام الذي يتحدث فيه، و الحقيقة الهامة التي لها وزن كبير في النقد الجاهلي من جهة المعنى هي: أن العربي بذوقه الفطري و ثقافته التي عرفناها له، كان حريصا كل الحرص على تطوير فنّه الشعريّ و الصعود به إلى مستوى أليق بهذا الفن الجميل، و من هنا ظهرت بعض المقاييس النقدية التي تتصل بنقدهم لمعاني الشعراء، و أهم هذه المقاييس هي:

- النظر في المبالغة و ملاءمتها للطبع الجاهلي.

- الملائمة بين الألفاظ و ما تدل عليه.

- النظر في وجود الشعر من حيث وظيفته الجمالية¹.

و من بين النماذج التي تدل على القول السابق "ما روي عن نقد النّابغة الذبياني لأبيات شعرية من قصيدة لحسان بن ثابت قال فيها مفتخرا:

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالضحى *** و أسيافا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق *** فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال له النّابغة: أنت شاعر و لكّنك أقللت جفانك و أسيافك، و فخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك.

و نقد النّابغة لحسان بن ثابت فيه عدة نقاط:

¹ - عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، القاهرة، د.ط، 1998، ص32.

- 1- شهد النابغة لحسان بأنه شاعر و جاء ذلك في مقدمة نقده ،و لا ريب في أن تقديم هذا الحكم الذي يشهد لحسان بالشاعرية يدل على أن النابغة ذو بصر بالشعر وبالنفس.
 - 2- نقد البيت الأول يدل على وجوب التعبير عن المعنى باللفظ الذي يؤدّيه أداء كاملاً، بحيث ينهض اللفظ بحق المعنى ،وهذه ملاحظة بارعة، لأنّ العرب تستحسن المبالغة في مواطن معينة، والفخر من هذه المواطن التي تحمل فيها وتستحب .
 - 3- نقد النابغة للبيت الثاني يدل على الوعي بتقاليد العرب و عاداتهم التي تعتد بالآباء و الأجداد و تقييم وزنا لحسب القبيلة و نسبها.
- و على هذا فإن نقد النابغة يقوم على تفضيل المبالغة جريا وراء المثل الأعلى في المعنى، كما يقوم أيضا على تقديس ما اعتاد عليه القوم و تقديس المثل الأعلى، ماثل في أن (الجفنان) و هي جمع مؤنث سالم لا تدل على الكثرة مثل (الجفان) لأن جمع المؤنث السالم إنما يدل -في أصل وضعه- على عدد قليل على عكس جمع التكسير إذ كان للكثرة فهو يدل في -أصل وضعه- على أعداد مفرطة في الكثرة و الكثرة تناسب الفخر، و لو قال الشاعر (لنا الجفان) لوصل إلى ما يريد النابغة من المبالغة و تحقيق المثل الأعلى في الفخر، و تقديس المثل الأعلى أيضا ماثل في أن كلمة (أسيافنا)و إن كانت جمع تكسير جمع قلة ،فجموع القلة الأربعة (أفعل، أفعلة، أفعال، فعلة) إنما يدل -في أصل وضعها- على أعداد لا ترفع لأكثر من عشرة، أو قد تقبض إلى ثلاثة، و العدد القليل في موطن الفخر غير مستحب عند العرب و لو قال (سيوفنا) لوصل إلى غايته في الفخر "1.

¹-عبد الرحمن إبراهيم،في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص 33.

يتضح لنا من خلال نقد النابغة لأبيات حسان، أن الناقد استخدم ذوقه الأدبي و حسّه اللغوي، كما يمكن أن نستنتج من هذا النقد أن الشاعر لم يلتزم بالمعاني الشريفة التي يقتضيها غرض الفخر الشعري، لأن لكل غرض معانيه التي تناسبه كما نستنتج أن النابغة وجه حسان، ونبّهه على مكان الخطأ والغلط في أبياته الشعرية، وبالرغم من نقده اللاذغ له إلا أنه ظل معترفا بشاعريته و براعته الأدبية، وهذا ما يظهر من خلال قوله: "أنت شاعر و لكنك...".

2-مبدأ احترام العرف و الامتثال للمعايير السائدة:

ويقصد بهذا المعيار الالتزام بالمألوف و المعتاد و المتعارف عليه من الكلام و عدم الخرق و الانزياح، و هنا نورد "ما طبّقه النابغة الديباني على قول حسان بن ثابت:

ولدنا بني العنقاء وبني محرق *** فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقوله: (و أكرم بنا ابنما)، و لم يقل (فأكرم بنا أبا) و هذه مسألة و إن كانت معنوية، ترجع إلى الذوق الذي استهجن أن يفخر الشاعر بابنه لا بأبيه، كما يفخر المفتخرون من العرب، فمن ناحية العرف والعادة و ما جرى عليه العرب في الافتخار بأصولهم من آباء و أجداد، لا الافتخار بأبنائهم و فروعهم¹.

فمن خلال رد فعل النابغة الديباني على قول حسان بن ثابت تبين لنا أن بيت حسان خيب أفق توقع النابغة لأنه خرج عن مذهب العرب، فالشاعر لم يلتزم بمحدود المعيار السائد و المتعارف عليه عند العرب، لأن ما اعتاد عليه العربي و فطر عليه، الافتخار بالأجداد و الآباء، لا بالأخوال و الأبناء.

¹ - م.ن،ص.ن

3-مبدأ اللياقة:

ويقصد بهذا المبدأ مناسبة المقال لما يقتضيه المقام و مراعاة ردود فعل القارئ المستهدف أثناء عملية الإنتاج، و هنا نورد رد فعل أحد النقاد المحدثين على "قول حسان بن ثابت في مدح صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم *** إذا تفرقت الأهواء و الشيع

يرى الناقد "النَّبوي عبد الواحد شعلان" في كتابه الموسوم بـ "الحياة الأدبية في عصر النبوة و الخلافة" أن الشاعر أخطأه التوفيق في قوله: (أكرم بقوم رسول الله شيعتهم) فكان عليه أن يذكر أنهم شيعته و ليس العكس¹.

من خلال تعليق الناقد على بيت حسان بن ثابت تبين لنا أن قول حسان بن ثابت كلام رديء موضوع في غير موضعه كسر أفق توقع الناقد و خيب انتظاره، لأن حق سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم أجدر أن يضاف إليه و لا يضاف هو إلى أحد، و منه وجب عليه أن يقول "شيعته" و ليس "شيعتهم"، فالشاعر لم يراع مقام رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله كما أنه لم يلتزم بأحد مميزات الخطاب المادح أي مخاطبة الخواص الذين لهم منزلة عظيمة في المجتمع بما يناسبهم، فشوه بذلك التركيب اللغوي لكلامه، فقول حسان بن ثابت لا يعذب في السياق و لا يروق في هذا المقام على حد تعليق الناقد، وبذلك كانت ردة فعله عدم استجابة بيت الشاعر لأفق توقعه، لأنه لم يجب عن سؤال مناسبة المقال لمقتضى الحال.

¹ - النبوي عبد الواحد شعلان، الحياة الأدبية في عصر النبوة و الخلافة، دار قباء للطباعة، د. ب، د. ط، 1998م، ص266.

4- معيار الجانب الصوتي:

يعد الجانب الصوتي معياراً من المعايير النقدية التي كان النقاد العرب يميزون به الشعراء بعضهم من بعض و يحكمون انطلاقاً منه على الشعر و يبينون جيده من رديئة.

و من بين النماذج الشعرية التي توضح ذلك موقف عمر بن الخطاب من شعر حسان بن ثابت: "أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مسلم بن يسار: أن عمر بن الخطاب مرّ بحسان و هو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخذه بإذنه و قال: أرغاء كرغاء البعير! " ¹.

فحكم الخليفة عمر بن الخطاب على صوت حسان بن ثابت و هو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يدل على أنه لم يعجبه صوته و لهذا أنكره إنكاراً عنيفاً و شديداً و وصفه بصوت البعير و هو يرغي (من الرغاء).

والملاحظ لرد فعل عمر بن الخطاب اتجاه صوت حسان بن ثابت و هو ينشد الشعر يجده متناقض مع السلوك الاجتماعي للعرب (مبدأ العرف)، لأن ما جرت عليه العادة أن العرب جميعاً لم ينكروا صوت البعير، بل كانوا يستحسنونه، لأن البعير كان وسيلة حياتهم، منه زادهم و شراهم.

4- معيار التكرار:

يعد التكرار قضية من القضايا التي أثارها النقاد الحديث أثناء تلقي التراث الشعري العربي القديم لاسيما الشعر الإسلامي باعتباره -التكرار- عيباً من العيوب الفنية، فقد جاء في كتاب "الحياة الأدبية في

¹ - الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، ص 111.

عصر النبوة" لصاحبة "النَّبوي عبد الواحد شعلان" تعليقا على " قول حسان بن ثابت في مدح صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم *** أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفّعوا

كم من صديقٍ لهم نالوا كرامته *** و من عدوٍ عليهم جاهد جدّعوا

فالشّاعر قال قصيدته ارتجالا و عفوا الخاطر، فإذا كان حسان قد أجاد في كثير من أبيات النّص، فإنه قد أخطأه التّوفيق في بعض الأبيات مثل:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم *** أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفّعوا

فإنّه تكرر مع قوله:

كم من صديقٍ نالوا كرامته *** و من عدوٍ عليهم جاهد جدّعوا¹.

من خلال تعليق النّاقذ على قول حسان بن ثابت تبين لنا أنّه عاب عليه التّكرار، و هو تكرر في المعنى على الرغم من أنّ الألفاظ مختلفة، فكلا البيتين لهما معنى واحد و هو أنّ صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحرب أبطال، و أنّ الكرم شيّمتهم في السّلم.

6-معيّار الجانب الأخلاقي:

¹ - النبوي عبد الواحد شعلان، الحياة الأدبية في عصر النبوة و الخلافة ، ص 267.

يعد البعد الأخلاقي قيمة من القيم الإسلامية التي يوزن بها الشعر و معيار من معايير نقده، ومن بين النماذج النقدية التي تدخل في هذا الجانب "قول حسان بن ثابت يعتذر مما قاله في عائشة رضي الله عنها:

حصان رزان ما ترن بريبة ***
و تصبح غرثي* من لحوم الغوافل**

و لما بلغ قوله: وتصبح غرثي من لحوم الغوافل.

قالت عائشة: لكنك يا حسان ما تصبح غرثان من لحومهن. رواه مسلم¹.

فمن خلال رد فعل عائشة رضي الله عنها يتضح لنا أنها عابت عليه الجانب الأخلاقي في شعره وعدم التزامه بهذا المعيار، فمن المعلوم أن حسان بن ثابت عير عائشة رضي الله عنها و اتهمها بالإفك في إحدى قصائده، لكن الله برأها، ما دفع بالشاعر إلى الاعتذار منها و مدحها.

ويدخل كذلك في معيار الجانب الأخلاقي "قول حسان و هو يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

لقد علم الأقوام أن ابن هاشم ***
هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

و ما لك فيهم محتد يعرفونه ***
فدونك فالصق مثل ما لصق القرد

و إن سنام المجد من آل هاشم ***
بنو بنت مخزوم، و والدك العبد

• غرثي: جائعة.
** الغوافل: الواحدة غافلة: أي أنها لا ترتع في أعراض الناس.
1 - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص189.

و ما ولدت أفناء زهرة منكم *** كريما و لم يقرب عجائزك المجد

و لست كعباس، و لا كابن أمّهُ *** و لكن هجين ليس يورى له زند

و أنت زعيم نيط في آل هاشم *** كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

و إنّ أمراً كانت سمية أمّهُ *** و سمراء مغلوب إذا بلغ الجهد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة (أبو بكر)¹.

من الواضح أنّ أبا سفيان هو من قبيلة قريش، فلما بلغه قول حسان بن ثابت الشعري السابق أحس بالجزع و الألم و أنكره إنكاراً شديداً، لأنّه مسّ عرض قريش و شرفها، فرد فعله المتمثل في قوله: "هذا الشعر لم يغب عنه أبي قحافة" دليل على أنّه لم يستحسن شعر حسان، فكما نعلم أنّ أبا بكر اختاره الرسول صلى الله عليه و سلم من بين الصحابة ليكون مرشد الشعراء و معلماً لهم في مادّهم الشعرية، و هذا الاختيار دليل على ما كان يتمتع به أبو بكر من دراية و معرفة في المثالب التي يمكن أن يستغلها الشعاع في معركة الدّفاع عن الحق و عن الإسلام.

¹ - حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان ، ص89.

"و أخبرنا محمد بن جرير قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمه عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: اعترض صفوان بن المعطل حسان بن ثابت لما قذفه به من الإفك حين بلغه ما قاله، وقد كان حسان قال شعرا يعرض بابن المعطل و. بمن أسلم من العرب من مضر فقال:

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا *** و ابن الفريرة أمسى بيضة البلد

قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه *** أو كان منتشبا في برثن الأسد

ما للقتيل الذي أعدو فأخذه *** من دية فيه أعطيها و لا قود

ما البحر حين قهّب الرّيح شاميّة *** فيغطئ و يرمي العبر بالزّبد

يوما بأغلب منّي حين تبصرني *** بالسّيف أفري كفري العارض البرد.

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسّيف فضربه¹.

وهذا التّقد يدخل في معيار الجانب الأخلاقي، فمن خلال رد فعل صفوان بن المعطل لما بلغه قول حسان بن ثابت يتبين لنا أنّه لم يعجبه شعره نظرا لما قاله فيه و في عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم من كلام ذميم لا يتماشى والقيم الأخلاقية، وهذا ما عابه في شعره.

¹ - الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، ص119.

7-مبدأ التّضاد:

"قال حسان رضي الله عنه:

بيضُ الوجوه، كريمةٌ أحسابُهُم *** شَمُّ الأنوفِ، من الطِرازِ الأوّلِ.

و قال غيره:

سُودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابُهُم *** فطسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخر¹.

من خلال رد فعل الشاعر الثاني الذي نسج بيته الشعري على منوال بيت حسان بن ثابت السابق الذكر يتضح لنا أنّ الشاعر استخدم أضداد الكلمات التي تكـون منها بيت حسان بن ثابت وذلك بإتباعه نفس الشّكل (المنهج) مع الاختلاف في المضمون (المعنى).

والملاحظ لبيت حسان بن ثابت الشعري يجد فيه نوع من المدح على عكس بيت الشاعر الثاني فإنّه يتضمن الذم و القبح.

8-معيّار الجانب اللفظي:

اهتم النقاد منذ القدم بقضية اللفظ و المعنى، و مدى مناسبة الألفاظ للتعبير عن المعاني، و من بين النماذج النّقدية التي تبرز هذه القضية تعليق النّاقـد "النّبوي عبد الواحد شعلان" في كتابه الموسوم "الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة" على "قول حسان بن ثابت في إحدى قصائده التي مدح فيها صحابة

¹ - احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ط، 2003م، ص306.

رسول الله صلى الله عليه و سلم:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ *** أَوْ حَاوَلُوا التَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا.

فقول الشاعر (أو حاولوا) فيه ضعف لأنه لا يثبت وقوع النفع¹.

من خلال تعليق الناقد يتبين لنا أنَّ الشاعر قلَّ من قدرة الصحابة رضوان الله عليهم على فعل الخير و أن لفظة (حاولوا) لا تعبر عن المعنى المراد الوصول إليه (فعل الخير أو النفع)، وهذا موطن العيب في شعره .

كخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أنَّ الأشراف كانوا من أبرز المتلقين لشعر حسان بن ثابت، وقد تباينت آراءهم واختلفت حول شعره، فمنهم من استحسنته ومنهم من نقده، فلكل معاييره النقدية، وهذا يدل على أنَّ الأشراف كانوا على معرفة بفن الشعر ومقوماته.

¹ - النبوي عبد الواحد شعلان، الحياة الأدبية في عصر النبوة و الخلافة، ص 267.

من المتعارف عليه أن الفن بوجه عام والأدب بشكل خاص تتجاذبه منذ أقدم العصور نزعتان: نزعة أخلاقية وأخرى جمالية، فالأولى ترى أن غاية الفن هي خدمة الأخلاق ونشرها، أما الثانية فتري أن الفن ينبغي أن ينظر إليه في ذاته لكونه فنا جميلا، لا لأي غاية أخرى، وهذا ما يؤكده الدكتور "لخضر العرابي" في كتابه الموسوم بـ "الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته" بقوله: "الأدب يتضمن أبعادا موضوعية وفنية" وفي موضع آخر يقول: "فالأدب الخالد خلود الدھر هو ما ينبع عن عاطفة صادقة، ويحقق المتعة الأدبية ويخدم الحق والخير في الوقت ذاته، فمثل هذا الأدب هو الذي يبقى على مرّ الأيام، ولا يلبيه الزّمان"¹.

و إن القارئ لديوان حسان بن ثابت الأنصاري يتبين له أن لشعره أبعاد أخلاقية وأخرى فنية جمالية.

1- النزعة الأخلاقية:

تعد القضية الأخلاقية من بين القضايا التّقدية التي أثارت اهتمام النّقاد منذ زمن بعيد، فراحوا يفتشون عنها في التراث الشعري العربي القديم، لاسيما في الشّعر الإسلامي باعتباره المرجع الرئيسي الذي استلهمهم، ذلك أنّه شعر عفيف ينسجم مع القيم الإسلامية كونه يعتمد على الصدق العقائدي ومدى نجاحه في التعبير عن فكرة الإسلام ومعتقداته من غير تعصب أو زيف، فالمعيار الأخلاقي ينظر إلى النّصوص الشّعريّة بما يتوافق والقيم الأخلاقية، ولا ينظر إلى النّاحية الفنّية مطلقا، وعليه كان الحكم بالجودة رهين ما يحمل هذا الشّعر من أخلاق والعكس صحيح، فالحكم بالرداءة كان رهين خلو الشّعر منها، حتى وإن تضمّن نواح جمالية أخرى .

¹ - لخضر العرابي، الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، د. ط، 2003، ص 93.

ومن النصوص النقدية التي راعت الجانب الأخلاقي يمكن أن نستنبط بعض المعايير التي حكم على شعر حسان بن ثابت في ظلها ومنها:

أ- معيار الصدق:

يعد معيار الصدق من أبرز المعايير النقدية الأخلاقية التي حكم في ظلها على جودة الشعر العربي القديم وبخاصة الشعر الإسلامي - شعر حسان بن ثابت -، فقد جاء في كتاب " البديع في ضوء أساليب القرآن " لصاحبه " عبد الفتاح أحمد لاشين " " أن قوما من النقاد والبلاغيين يرون أن المبالغة من عيوب الكلام، ولا يرون من محاسنه إلا ما خرج مخرج الصدق، وجاء على منهج الحق، ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن أن يخترع معنى مبتكرا، أو يفرع معنى من معنى، أو يحلّي كلامه شيء من البديع، أو ينتحب ألفاظا موصوفة بصفات الحسن، ويجيد تركيبها، فإذا عجز عن ذلك أتى بالمبالغة لسد خلله، وتتميم نقصه، وحجة هؤلاء قول حسان بن ثابت:

وإنما الشعر لبُّ المرء بعرضه *** على المجالس: إن كيساً وإن حمقاً

وإن أشعر بيت أنت قائله *** بيت يُقال إذا أنشدته صدقاً

فيجب ترك المبالغة إلى الصدق والتحقق، لأن ذلك أحب إليه، وآثر وأبقى، وثمره أحلى¹.

فمن خلال قول الناقد يتبين لنا أن من نتائج الصدق في الشعر خلوده وبقاؤه، وهو ما يتنافى مع المقولة النقدية الشهيرة " أعذب الشعر أكذبه "، معنى ذلك أن الناقد في تبنيهِ للمعيار الأخلاقي قوّض مبدأ جماليا هاما لطالما أسس للمنظومة الشعرية العربية والذي تلخصه مقولة " أعذب الشعر أكذبه "، كما أن

¹- عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، د. ب، دط، 1999، ص 65.

ترك المبالغة والميل إلى الصدق والموضوعية من محاسن الشعر وأجوده، ويمكن القول أيضاً أن شعر حسان بن ثابت كان له الأثر العظيم في تغيير القيم الأخلاقية عند العرب.

ب-نشر الرسالة:

يعد حسان بن ثابت من أبرز الشعراء المسلمين الذين رفعوا راية الإسلام بلسانهم ونصروا الدين بقلمهم، وعليه حكم النقاد بجودة شعره وعظمته، ويدخل في هذا المعيار قول " بطرس البستاني " في كتابه المعنون بـ " أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام " : "...ولحسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب غير الأسلوب الذي عهدناه في الجاهلية، فهو لا يشبه محمداً بالأسد كما فعل كعب بن زهير، ولا يُعْنَى في وصف جوده وسخائه كمن يريد الاستجداء والتكسب من ممدوحه، بل يُعْنَى بوصف شمائله الغرّ، ويلجّ في ذكر الرسالة والتصديق بها، وذكر ما حمل الإسلام للعرب من نور وهداية، وأمل بعد يأس، ويعرض أحياناً بمن أنكر النبوة، فهو مدح جديد في نوعه وطريقته، جديد في تعابيره وألفاظه، جديد في النّفحة الدّينية العابقة منه، بيد أنّه ساذج لا تعدّوه الفطرة الجاهلية، ولكنها فطرة صقلها الدين وجلاها الإيمان".¹

فقول الناقد يدل على أن أسلوب حسان بن ثابت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يتماشى والمعاني الإسلامية البحتة المستمدة من القرآن الكريم، كما يدل ذلك على أن الشاعر كان يهدف من وراء شعره إلى نشر الرسالة المحمّدية.

¹ - بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل، بيروت، د. ط ، 1997، ص 278.

ج-الدعوة إلى مكارم الأخلاق :

إنَّ القارئ لشعر حسان بن ثابت -وبخاصة الإسلامي منه- يتبيّن له طغيان الجانب الأخلاقي عليه من خلال الدعوة إلى الأخلاق الحميدة و الصفات النبيلة، ما جعل أغلب النقاد يعجبون بشعره ويحكمون عليه بالجودة والفحولة، وهنا يرى الناقد "منذر معاليقي" في كتابه النقدي "دراسات نقدية في الأدب الإسلامي" "أنَّ حسان من الفحول المعروفين، وأنَّ شعره لم يضعف في الإسلام، وفحولته لم تفارقه في جاهليته وإسلامه(...). ففي صفوف المسلمين شعراء لا يقلون بلاغة وفصاحة وبيان، وقد جاءت أشعارهم بعيدة عن الفحش والقذع، لا تهتك الأعراس، ولا تتعرض للأستار التي حرم الله تعالى مسّها بسوء، بل توافقت كلية مع الدعوة الإسلامية وآدابه الحميدة التي أوصت بالمكارم الخلقية والقيم الإنسانية"¹.

من خلال قول الناقد يتبين لنا أنَّ شعر حسان بن ثابت يتضمن قيما أخلاقية تتماشى والدعوة الإسلامية، وأنّه وسيلة من وسائل التهذيب الخلقي والسّمو بالنفس، فهو يقول من الشعر أعفه وأحسنه، ومحاسن شعره تدل على مكارم الأخلاق .

د-معيّار البساطة:

لقد كان الشعر الإسلامي بسيط في ألفاظه لا تزييف فيه كونه يعتمد على الحق، فقد جاء في الكتاب السّابق الذكر "أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام" لصاحبه "بطرس البستاني" تعليقا

¹ - منذر معاليقي، دراسات نقدية في الأدب الإسلامي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، ط1، 2004 م، ص 66.

على شعر حسان بن ثابت: "... وكان هجو حسان على مرارته صادقاً لا تكلف فيه، لم يندفع الشاعر إليه حبا للتكسب والاستجداء، بل ذوداً عن دين يؤمن به وبرسوله، وأملاً بالثواب في الدنيا الباقية (...). وفي هذا الشعر ألفاظ جديدة لم نألفها قبل كقوله: (جبريل أمين الله فينا، وروح القدس، وأرسلت عبداً، وشهدتُ به، ورسول الله) فهذه الألفاظ وغيرها أحدث القرآن معانيها في الإسلام"¹.

فمن خلال تعليق الناقد على شعر حسان بن ثابت تبين لنا أن الشاعر كان يهدف من وراء شعره إلى خدمة تعاليم الإسلام ونشرها بعيداً عن التزييف والتكلف، وبذلك عُدَّ شعره وسيلة من وسائل الثقافة الإسلامية الأصلية، كما أن الناقد اعترَف في شعر حسان بن ثابت بالقيم الخلفية كالبساطة والصدق، وأنه لم يراعِ براعته في التصوير أو حسن اختياره للألفاظ وغيرها، مما يدل على أن هذا المعيار الجمالي قد سقط من الاعتبار النقدي.

2- التزعة الجمالية:

إن الإنسان مطبوع بفطرته على التعلق بكل ما هو جميل ومشدود بحسّه إلى كل ما يمت بصلةٍ إلى الجمال بمختلف أشكاله ومحاولة تذوقه، لأنّ الجمال مردّه إلى الذّوق، ومن المعلوم أنّ الجمال نوعان: جمال طبيعي وجمال فني، وما يهم هنا هو الجمال الفني الذي يتعلّق بالخيال المجنّح تحقيقاً لمتعة المتلقي وإشباعاً لرغبته، ويعد شعر حسان بن ثابت من النّماذج الشعريّة العربيّة القديمة التي تحمل في طياتها قيماً جمالية يتوخاها القارئ، مما يجعله ينفعل مع ما يقرأ أو يسمع من نصوصه الشعريّة التي تجعل نفسه تقيم وتتمتع وتتفاعل مع جمال نصه الشعري، إذ يحصل عن هذا التفاعل ما يسمى "بالمُتعة الجمالية"، هذه

¹ - بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص 277.

الأخيرة قد لا تتحقق إلا لقارئ أو متلق جيد و واع، من خلال قراءاته المتعددة وخبرته السابقة، وبذلك تتحقق غاية النص والشاعر معا.

ومن النصوص النقدية التي راعت الجانب الجمالي يمكن أن نستنبط بعض المعايير التي حُكم على شعر حسان بن ثابت في ظلها و منها:

أ-معيار الوزن:

لقد كان للوزن أهمية بالغة عند العرب، كيف لا وأنّ الشعر ديوان العرب، فقد فضله عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، وهذا من مزية الوزن فيه لسهولة جريانه على اللسان، ولما يضيفه على الشعر من جمالية تشد انتباه المتلقي نحوه، فيعجب به أشد الإعجاب ،وهنا يقول الناقد " قدامه من جعفر " في كتابه " نقد الشعر " "... أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها، وإن خلت من أكثر نعوت الشعر، منها قصيدة حسان بن ثابت:

ما هاج حسان رسوم المقام	***	و مظعن الحيّ، ومبنى الخيام
و النّويّ، فقد هدّم أعضاده	***	تقادّم العهد، بواد قمام
قد أدرك الواشون ما حاولوا	***	فالحبل ومن شعثناء رث الرّمام*
جنّة أرقني طيفها	***	تذهب صباحا وتُرى في المنام
كأن فاها ثغب باردٌ	***	في رصف، تحت ظلال الغمام ¹ .

*الرّمام: الواحدة رمة، الحبل.

فالتأكد استشهد بشعر حسان بن ثابت لا شيء إلا لبراعته في الوزن دون النظر إلى باقي المعايير الجمالية الأخرى.

أ1-مراعاة القافية:

عرف الشعر العربي منذ نشأته مكوني الوزن والقافية، ذلك أن الشاعر العربي القديم لم ينظم قصائده إلا موزونة و مقفاة إحساسا منه بجمالية القافية ومدى تأثيرها في نفس متلقيها، فهي بمثابة فواصل موسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترة زمنية منتظمة، وعليه كان معيار القافية من بين المعايير النقدية التي حكم في ظلها على جمالية شعر حسان بن ثابت، فقد جاء في كتاب " نقد الشعر " لصاحبه " قدامه بن جعفر " قوله : " أن تكون عذبة الحرف، سلسلة المخرج، وأن تقصد لتصير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والحديثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرّعوا أبياتا أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، كقول حسان بن ثابت في قصيدة أولها:

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّجْعَ الْجَدِيدَ التَّكْلُمَا *** بَمَدْفَعٍ أَشْدَاخٍ ** فَبَرْقَةٍ أَظْلَمَا *** .

و قال في البيت التالي:

أَبَى رَسَمَ دَارِ الْحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَا *** وَهَلْ يُنْطِقُ الْمَعْرُوفُ مَنْ كَانَ أَبْكَمَا ²

¹ - قدامه بن جعفر (أبي الفرج)، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص 78.

* المدفع: مجرى السيل

** أشداخ: واد.

*** برقة أظلم: موضع.

² - قدامه بن جعفر (أبي الفرج)، نقد الشعر، ص 88.

لقد حكم الناقد على حسان بن ثابت أنه من الشعراء الفحول والمجيدون، لا لشيء إلا لبراعته في القافية، بعض النظر عن المعايير الجمالية الأخرى.

ب-المعيار البلاغي:

لعبت البلاغة دورا هاما في التقدير العربي، إذ راح النقاد يحكمون على جودة وجمالية الشعر لا لشيء إلا لبراعة الشاعر البلاغية فيه، فقد جاء في كتاب "دراسات نقدية في الأدب الإسلامي" للناقد "منذر معاليقي" "أن ابن خلدون فضل الشعراء الإسلاميين على الجاهليين بقوله: "إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأدواتها من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم، ونجد أيضا شعر حسان والحطيئة أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير" (...) والسبب - حسب رأيه - أن حسان والحطيئة كغيرهما أدركا الإسلام، وسمعا الطبقة العالية من كلام القرآن والحديث، اللذين عجزت البشرية عن الإتيان بمثلهما، فنهضت طباعهم، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقا، وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا"¹.

فابن خلدون حكم على الشعراء الإسلاميين بما فيهم حسان بن ثابت على أنهم أفضل من الشعراء الجاهليين لما في الشعر الإسلامي من بلاغة وفصاحة ومعان شريفة مستوحاة من القرآن الكريم والحديث الشريف، اللذين عجزت البشرية عن الإتيان بمثلهما، وهو تأكيد على دور البلاغة في جمالية النص الشعري، واعتراف بأن الشعر ليس قيم خلقية فحسب وإنما إلى جانب ذلك قيم جمالية.

¹ - منذر معاليقي، دراسات نقدية في الأدب الإسلامي، ص 64.

ج- معيار المبالغة:

تعد المبالغة فن من الفنون البلاغية، كما أنها أسلوب من البديع المعنوي في الكلام، تستثير صياغتها كوامن النفس وتشحذ الذهن، وتؤثر في التصورات والمواقف، وعليه كان معيار المبالغة من بين المعايير النقدية التي حكم في ظلها على جمالية الشعر العربي القديم (شعر حسان بن ثابت)، فقد جاء في الكتاب الموسوم بـ: "البديع في ضوء أساليب القرآن" لصاحبه "عبد الفتاح أحمد لاشين" "أن هناك من النقاد والبلاغيين من يرى أن أجود الشعر أكذبه، وخير الكلام ما بولغ فيه، ويحتجون بما جرى بين التابعه الذبياني وبين حسان في استدراك التابعه عليه تلك المواضع في قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرَّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا.

فإن التابعه عاب على حسان ترك المبالغة، إذ قال: "الجفنت"، ولو قال (الجفان) لكان أكثر، وقال: "يلمعني بالضحي"، ولو قال (يرقن بالدجى) لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف أكثر طروقا بالليل، وقال: "يقطرن دما"، ولو قال (يجرين) لكان أكثر (...). لأن الشعر يقوم على التخيير، والإغراق في المدح والذم والوصف، وسائر أغراض الكلام، ففي هذا يجد الشاعر طريقة إلى الإبداع والإجادة، ويبعد أن يراد بالكذب معناه، فيعطي الممدوح - مثلا - حظا من الفضل والمدح ليس له، لأن الكذب لا يبين بالحجج المنطقية"¹.

وهذا يدل على أن المبالغة من الحلي والألوان البديعة الجمالية التي لها تأثير بليغ يجذب السامع، ويحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ، وتجعل العبارة على الآذان سهلة و مستساغة، فتجد من

1 - عبد الفتاح أحمد لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 64.

النفس القبول، وتتأثر به أي تأثر، وتقع من القلب أحسن موقع، كما أنها تبلغ بالمعنى أقصى غايات الخيال، والدقة في التعبير.

يدخل في معيار المبالغة أيضا قول الناقد " ربي عبد القادر الرباعي " في كتابه " المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي " : "...وقد مرّ بنا نقد النابغة لحسان بن ثابت حين أنشده:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرَّى يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى *** وَ أَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءَ وَابْنِي مُحَرَّقٍ *** فَأَكْرَمُ بَنَا خَالًا وَأَكْرَمُ عَمًّا.

و قول النابغة له : أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك (...)، وكل هذا النقد منصرف إلى ما هو مفضل عقلا وعرفا وعلمًا في تلقي الشعر ومعناه، لكن أبيات حسان جميلة الوقع وترك أثرا نفسيا باقيا، لهذا لم يتوان النابغة عن أن يقول بدءا : (أنت شاعر)¹.

لقد اعترف الناقد بجمالية شعر حسان بن ثابت وخلوده، وأن النابغة وبالرغم من نقده لحسان إلا أنه ظلّ يعترف بفحولته الشعرية.

وقد علّق الناقد "محمد بن علي الهرفي وآخرون " في كتابه الموسوم " في النص الإسلامي والأموي دراسة تحليلية " "على قول حسان بن ثابت :

¹ - ربي عبد القادر الرباعي، المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص 232.

لساني صارم لا عيب فيه *** و بحري لا تُكدره الدلاء

"وبحري لا تكدره الدلاء": أي أن شعري بحر صاف واسع عميق لا تكدره دلاء من
يتمحون منه المـاء، وهذا كناية ضمنية عن قوته

الشعرية، وتمكنه وفحولته، بحيث لا يستطيع شاعر أن يتفوق عليه".¹

فقد حكم الناقد على حسان بن ثابت بأنه شاعر فحل، لا يستطيع أحد من الشعراء الفحول أن
يتفوق عليه، وذلك من خلال بيته الشعري السابق لما فيه من جمالية تشد الانتباه وتستميل القلوب نحوه،
ومكمن الجمالية مبالغة الشاعر في مدح شعره، لما في المبالغة من تأثير بليغ على النفوس والقلوب.

د- المعيار النحوي :

حظي النحو باهتمام كبير من طرف النقاد العرب ،ذلك أنه الأساس المتين الذي تركز عليه
اللغة العربية،وعليه كان معيار النحو من بين المعايير النقدية الرئيسة التي حكم في ظلها على جودة الشعر
وجمالته،فالشعر الجيد كان رهين توفر الشروط النحوية فيه ، والعكس صحيح،ومن بين النصوص
النقدية التي راعت الجانب النحوي في شعر حسان بن ثابت ما جاء في الكتاب السابق الذكر " في
النص الإسلامي والأموي -دراسة تحليلية -" لصاحبه الدكتور "محمد بن علي الهرفي وآخرون"تعليقا
على "قول حسان بن ثابت :

تَظِلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطْرَاتُ *** تَلْطُمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

¹ - محمد بن علي الهرفي وآخرون، في النص الإسلامي والأموي -دراسة تحليلية-، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،
القاهرة، ط2، 2006، ص 64.

فِيمَا تَعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا *** وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

و قوله: "فِيمَا تَعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا" تمثل الجملة الشعريّة محور الخطاب الشعري، وتتمام جملة الشرط في شطر واحد من علامات الفحولة الشعرية¹.

فقد نظر الناقد إلى الجمالية نحويًا فقصرها على تمام جملة الشرط في شطر واحد، وجعل مكنن الفحولة فيها، وهو يدل على أنّ للجمالية أسس تختلف من ناقد إلى آخر.

هـ- معيار التصوير:

لقد كان لجانب التصوير حظًا في الفكر العربي، إذ حكم النقاد على الشعر بالجودة والجمالية، لا لشيء إلا لبراعة الشاعر التصويرية، ومن بين التّماذج الشعريّة التي تدل على ذلك ما جاء في "معجم أجمل ما كتب شعراء العربية" لصاحبه "حامد عبد الله حسين العربي" "أن أجمل ما كتب حسان بن ثابت قوله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

و أَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطَّ عَيْنِي *** وَ أَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ التَّسَاءُ

خُلِقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ *** كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ².

¹ - محمد بن علي الهرفي وآخرون، في النص الإسلامي والأموي، ص 55.

² - حامد كمال عبد الله حسين العربي، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، الأردن، ط1، 2002م، ص 15.

حقاً لهُي صورة شعرية معبرة وناطقّة، فصدق من قال: " يعطيك الشّعْر صامتا مالا يعطيك الرّسم ناطقا"، صورة بمجرد سماعها تطرب لها الأذن وترتاح لها النّفس، بما فيها من رقة وعذوبة وبهاء، تفيض توهجا وجمالا يفوق الخيال، مدح أنبل في النّفوس وأهزّ للعاطفة، وأيسر على اللّسان، وأولى بأن تعلقه القلوب، وأسرع للحفظ وأشفى للغليل وأحق بالولوع وأجدر، يبهر المتلقي لما في أسلوبه من جمال، وتركيبه من بمرجة وزخرفة فنيّة، تفنّن في صياغة الألفاظ والتّعبير عنها فأخرجها في أروع صورة، صور الرّسول صلى الله عليه وسلم فأحسن تصويره، فيكفيه شرف أنّه شاعر خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.

كخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أنّ شعر حسان بن ثابت تراوح ما بين الأخلاقية والجمالية، صحيح أنّ الجانب الأخلاقي هو الذي غلب على شعره، لكن هذا لا ينفي وجود التّزعة الجمالية فيه، والتي اختلف التّقاد في النّظر إليها وفقا لمعايير نقدية معيّنة .

خاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى النتائج التالية:

1- ارتبطت ملامح نظرية التلقي ارتباطاً وثيقاً بالنقد العربي القديم الذي يعد السّابقة التاريخية لها.

2 _ كان للنقاد العرب القدماء فضل السّبق في التّنبية إلى دور القارئ في العمل الأدبي، ما

يجعلهم يقتربون من النّظرية الغريبة في أسسها و مصطلحاتها .

3- يعد ديوان حسان بن ثابت من بين الدّواوين التي حظيت باهتمام كبير و مستمر من عصره إلى

العصر الحديث.

4- تأثّر حسان بن ثابت في العصر الإسلامي بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى، و انعكس ذلك على

شعره.

5- الأشراف - على رأسهم الرّسول صلى الله عليه وسلم - كانوا من أبرز المتلقين لشعر حسان بن

ثابت، و تلقيهم يدل على معرفتهم و درايتهم بفن الشعر وتذوقهم له.

6- تباينت وجهات النظر حول شعر حسان بن ثابت، واختلفت ردود فعل الأشراف اتجاهه، فمنهم

من استحسّن شعره و منهم من نقده ولكل معايير و دوافعه.

7- ردود فعل الأشراف الذين استحسّنوا شعر حسان بن ثابت تراوحت ما بين المادية (الرضا و

الهبة، الضحك، البكاء، الهدية) و المعنوية (الشّهادة، التّصديق، الوعد بالجنة، الدّفاع، الاحتجاج

...الخ)

8-اعتراف ذوي الصنعة و الاختصاص بفحولة حسان بن ثابت الشعرية (الأصمعي، النابغة

الذبياني، ابن سلام الجمحي، عبد الكريم النهشلي...الخ)

9-هناك من الأعداء من استحسّن شعر حسان بن ثابت و أعجب به أشدّ الإعجاب (بني تميم،

الزبير بن العوام...الخ)

10-شعر حسان بن ثابت تتجاذبه نزعة أخلاقية و أخرى فنية جمالية.

11-اختلفت آراء النّقاد في الحكم على شعر حسان بن ثابت وفقا لمعايير أخلاقية و أخرى فنية

جمالية.

12-المعيار الأخلاقي ينظر إلى النصوص الشعرية بما يتوافق و القيم الأخلاقية، و عليه كان الحكم

بالجودة رهين ما يحمل هذا الشعر من أخلاق، و العكس صحيح، فالحكم بالرداءة كان رهين خلو

الشعر منها، حتى و إن تضمّن نواحٍ جمالية.

13-المعيار الجمالي ينظر إلى النصوص الشعرية بما يتوافق و القيم الجمالية الفنية، ولا ينظر إلى الناحية

الأخلاقية مطلقا، و عليه كان الحكم بالجودة رهين ما يحمل هذا الشعر من أبعاد جمالية، و العكس

صحيح، فالحكم بالرداءة كان رهين خلو الشعر منها، حتى و إن تضمّن نواحٍ أخلاقية.

14 - في الجانب الأخلاقي، يعد معيار الصدق الفني و البساطة من أبرز المعايير التي حكم على شعر

حسان بن ثابت في ظلها.

15-في الجانب الجمالي، هناك معايير نقدية حكم على شعر حسان بن ثابت في ظلها و هي (معيار

الوزن، مراعاة القافية، معيار البلاغة، معيار المبالغة، المعيار النحوي، معيار التصوير...).

16-تعدد المعايير النقدية في الجانب الجمالي من شعر حسان بن ثابت يدل على أن للجمالية أسسًا
تختلف من ناقد إلى آخر.